خلف الأحمر

(ت ١٨٠ هـ)

كبيرُ رواة البصرة المُفترى عليهِ

جمع ودراسة وتحقيق

أ . د . عبداللطيف حمودي الطائي

١٤٤٧هـ بغداد ٢٠٢٥م

منشورات

مركز البحوث والدراسات والنشر

جامعة الكوت

٩٢٠ /٧١

ط ٢٩٩ الطائي، عبداللطيف حمودي.

خلف الاحمر كبير رواة البصرة المفترى عليه/ عبد الطيف حمودي الطائي . - ط١. مطبعة جامعة الكوت، ٢٠٢٥.

١٣٨ ص ؛ ٢٤ سم

١. الرجال - تراجم. أ- الاحمر، خلف (أديب) ب. العنوان

رقم الايداع

٢٠٢٥ / ٥٥١٨

المكتبة الوطنية/الفهرسة اثناء النشر

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

٥٥١٨ لسنة ٢٠٢٥ م

الرقم الدولي: ISBN: 978-9922-726-61-8

ملاحظة

مركز البحوث والدراسات والنشر في جامعة الكوت
غير مسؤول عن الافكار والرؤى التي يتضمنها الكتاب
والمسؤول عن ذلك الكاتب او الباحث فقط.

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ٧٦ }

صدق الله العلي العظيم

سورة يوسف: الاية ٧٦

الإهداء

الى

أرواح عُلماء اللغة العربية وأعلامها كافة،

الذين خدموا لغة القرآن الكريم.

المؤلف

المقدمة:

البصرة مدينة عربية معطاء، وهي أول مدينة مُصِّرَتْ في الإسلام، خططها وبناها القائد العربي عتبة بن غزوان في السنة الرابعة عشرة من الهجرة النبوية المباركة، وكانت تمثل ثغر الدولة العربية الإسلامية الفتية، وبابها الرئيس للفتوحات، وانطلاق المسلمين لنشر الدين الإسلامي الحنيف في بلدان الشرق المجاورة لبلاد العرب، وقد حباها الله سبحانه وتعالى، فأنجبت كبار علماء العربية في اللغة والأدب والنقد، من أمثال أبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر، والخليل بن أحمد الفراهيدي، وخلف الأحمر، وسيبويه، ويونس بن حبيب، وأبي عبيدة، والأصمعي، وأبي زيد الأنصاري، وأبي حاتِم السجستاني، والجاحظ، وغيرهم كثير لا مجال لحصرهم ، وهي الآن مدينة السياب رائد الشعر الحر، فهي إذن مدرسة اللغة العربية وأدبها ونقدها قديمًا وحديثًا، وبمرور الزمن تعرض الأدب العربي الذي سبق الإسلام لمشكلات عدّة، منها ما هو قديم تمثل بالنحل والانتحال والوضع والتشكيك في صحة الرواية الشفوية، والطعن في شخصيات رواتها، وحديثًا شكك فيه بعض المستشرقين، وكان مارجليوث أشدهم كلبًا على الأدب العربي الجاهلي، فصنع نظرية الشك السيئة الصيت، في محاولة خبيثة بائسة ويائسة لنسف الموروث الأدبي العربي الذي سبق الإسلام، لاستئصال جذوره، وقد نفذ المستشرق الخبيث النوايا، مارجليوث ومن بعده الدكتور طه حسين عبر الاتهامات والتجريحات المتبادلة بين العلماء والنقاد والرواة أنفسهم، وإنْ كانَ معظم تلك الإتهمات والتجريحات صنيعة شعوبيّة دبرها أعداء الإسلام والعربية، إلا أنها مثلت معضلة صعبة، خلقت حاجزًا صعبًا، ونفورًا كبيرين أمام دارسي الأدب العربي في عصر ما قبل الإسلام، فهم في حيرةٍ وشكٍ، وهم بعيدون زمانًا ومكانًا عن تلك المرحلة التأسيسية المهمة من حياة الأدب

العربي ونقده، ومما يزيدُ من حيرتهم وشكهم، هو أنَّ الدّسَ والاتهام طالَ كبار الرواة، من أمثال حمّاد الراوية، وخلف الأحمر، وغيرهم، لذا فالأمر يتطلب معالجةً جذرية ومراجعةً متأنية لتلك المعضلة، لكي يأخذ الدارسون وطلاب العلم والمعرفة، الشعر الجاهلي وهم مطمئنون إلى صحة روايته، وصدق رواته، وقد تصدى أكثر من باحث قديمًا وحديثًا، لهذه المشكلة المعضلة، إلا أنَّهم لم يتفقوا على شيءٍ، فقد تباينت آراؤهُم بين منْ يُؤيد صحة تلك الاتهامات، وبين منْ يرفضها، أو في الأقل الإنصاف في بعض المواطن، ومنذ أنْ درست الأدب العربي الذي سبق الإسلام في مرحلة الماجستير، وأنا أرى مرويات حمَّاد الراوية، وخلف الأحمر، وهما من كبار رواة الشعر العربي، فضلًا عن كونهما من رواة الطبقة الأولى من الرواة الرواد للشعر العربي الجاهلي والإسلامي[1]، إذ وصل عبر قناتي روايتهما معظم التراث الأدبي المتمثل بالشعر والنقد وأخبار الشعراء والمجالس اللغوية والأدبية والنقدية، ومع ذلك فأنَّ روايتهما تتقاذفها الأمواج بين رفضٍ غير مسوّغٍ، وغير معقول، وقبول غير مقنع، وغير منطقي، ولم ترسُ روايتهما على شاطئٍ معين، ولم يُحسم أمرها، فآليتُ على نفسي، أنْ أقومَ بحركة تصحيحية، وإعادة النظر في الرواية والرواة، عبر إعادة قراءة تلك الروايات، وجمع نصوصها، وتمحيص كلّ ما جاء فيها من أخبار، تتبادل التُهم والتجريح والتكذيب وتدقيقها، ومن ثم جمعها في ملفٍ واحدٍ، وعرضها على القضاء الأدبي لمحاكمة نصوصها، للوقوف على الحقيقة المجردة، ليأخذ كل ذي حقّ ِحقهُ، من غير انحيازٍ إلى هذا أو ذاك، ليظهر الأدب العربي بوجهه الأبيض البهي الناصع، ويتناوله القراء وهم مطمئنون، وهدفي سامٍ يتمثل في الوصول إلى الحقِّ والحقيقة، خدمة للغة العربية الكريمة وكتابها المقدس القرآن الكريم ، وتراثها الخالد ،

(١) - مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية : ٢٦٨

علمًا أنَّ كبار رواة الأدب العربي لم يسلموا مما دسَّهُ الشعوبيون وصنعوه، وما صنعهُ المستشرقون من بعدهم، في محاولاتهم البائسة والخبيثة، وعبر طرق ملتوية، رائدها الكذب والخديعة، ولكن الله ضلل سعيهم، ورد كيدهم إلى نحورهم، ذلك لأنَّ العربية لغة القرآن والعبادة، وبدأتُ الخطوة الأولى من خلال الشروع بجمع المعلومات والروايات القادحة منها والمادحة، المتناثرة في صفحات المصادر القديمة، والتي تناولت العالم الراوية خلف الأحمر، وجمعها في ملف واحد، وإجراء محاكمة علمية أدبية لتلك النصوص عبر مواجهة بعضها مع بعض، لاستنطاقها واستنباط الحقيقة منها، وفي المحصلة النهائية ظهر خلف الأحمر بريئًا مما رمي به من التُهم والتكذيب والتجريح، إذْ وصل إلينا عبر روايته شطرٌ كبيرٌ من الشعر العربي الذي سبق الإسلام، والكتاب يتكون من مقدمة وأربعة فصول، تكون الفصل الأول من أربعة مباحث، درست في الفصل الأول منه شخصية خلف الأحمر وكان بعنوان : التعريف بخلف الأحمر، إذ درست في المبحث الأول شخصية خلف الأحمر، فيما تناول المبحث الثاني أسرته وعقيدته، وتكفل المبحث الثالث بدراسة علاقته بأبي عمرو بن العلاء وبشار بن برد، وخلف الأحمر والمسألة الزنبورية، ودرست في المبحث الرابع مؤلفاته وبعض آرائه النقدية، فيما تكون الفصل الثاني من مقدمة وثلاثة مباحث، وحمل عنوان : خلف الأحمر بين يدي القضاء الأدبي وتكون من ثلاثة مباحث، عالج المبحث الأول خصومه، فيما تكفل المبحث الثاني بمعالجة أنصاره ومؤيدوه، وتكفل المبحث الثالث بالرواة المعتدلين، وتكفل الفصل الثالث بدراسة لامية العرب تحت عنوان لامية العرب بين النفي والإثبات، واهتم الفصل الرابع بدراسة لامية الشنفرى في رثاء تأبط شرا والذي حمل عنوان لامية الشنفرى في الميزان النقدي، وختمت الكتاب بلامية خلف الأحمر المغيبة، وقد بذلتُ من أجل ذلك

جهودًا كبيرة ومضنية سيطلع عليها القارئ الكريم، ويقدر قيمة الجهد المبذول في خدمة تراث اشرف لغة لأكرم كتاب، وأملي كبير في أنْ يوفقني الله إلى كشف الغموض، الذي أحاط بسيرة خلف الأحمر وأظهره على غير حقيقته، فإنْ أصبتُ في مسعاي، فبفضلٍ من الله وتوفيقه، وان جانبت الصواب، فذلك من تلقاء نفسي، وحسبي أنّي اجتهدت، ولكل مجتهدٍ نصيبٍ، والحمدُ لله أولًا وآخرًا، وصلى الله تعالى على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم.

الفصل الأول

التعريف بخلف الأحمر

- **المبحث الأول :** شخصية خلف الأحمر.
- **المبحث الثاني :** أسرته وعقيدته.
- **المبحث الثالث :** خلف الأحمر والمسألة الزنبورية.
- **المبحث الرابع :** خلف الأحمر ناقدًا

المبحث الأول

شخصية خلف الأحمر

هو أبو مُحرز خلف بن حيان، وهو خلف الأحمر مولى الأشعريين[١] فهو مولى بِلال بن أبي بُردة بن أبي موسى الأشعري، وهو الذي أعتق أبويه، وكانا من سبي فرغانة، كان أعلم الناس بالشعر[٢] وخلف الأحمر من أبناء الصَغد الذين سباهم قُتيبة بن مُسلم الباهلي[٣]، فوهبهم سَلم بن قُتيبة الى بلال بن أبي بُردة [٤]، وقيل هو مولى بني أمية [٥]، والأحامر أربعة أشهرهم اثنان هما : خلف البصري، وهو خلف الأحمر، واسحق ابن مرار المعروف بأبي عمرو الشيباني الراوية المشهور، وأما الآخران فهما : علي بن الحسن الكوفي، وإبان بن عثمان اللؤلوئي[٦]، كان خلف الأحمر متبحرًا في علوم اللغة العربية وآدابها ونقدها، فتعلم اللغة والنحو والأدب والنقد، فقد أخذ النحو عن عيسى بن عمر (ت١٤٩هـ)، واللغة عن أبي عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ)، ورواية الشعر ونقده عن حمّاد الراوية (ت١٥٥هـ) [٧]، كان خلف الأحمر تلميذاً نابهًا عند شيخه أبي عمرو بن العلاء، وبعد وفاة أبي عمرو بن العلاء، تحول خلف الأحمر الى يُونس بن حبيب (ت١٨٣هـ)

---

(١) البيان والتبيين : ١٢٩/١

(٢) طبقات الشعراء : ١٤٨، مراتب النحويين : ٥٩، نور القبس : ٧٢، المزهر : ٢ / ٤٠٣

(٣) نور القبس : ٧٢

(٤) أنباه الرواة : ١/ ٣٤

(٥) الفهرست : ٥٠

(٦) أنباه الرواة : ٢٢٨/١، بغية الوعاة : ١/ ٤٣٩، ٢/ ٢٨٩

(٧) مراتب النحويين : ٥٩، نور القبس : ٧٢

ولزمه، فقد قال أبو زيد الأنصاري النحوي (ت٢١٥هـ)[١]: (جلستُ إلى يُونس بن حبيب عشر سنين، وجلس إليه قبلي خلف الأحمر عشرين سنة)، وعباد بن كساب، وخلف الأحمر وأبو زيد الأنصاري، يمثلون الطبقة اللغوية الثالثة من علماء البصرة [٢]، ولم يكن خلف الأحمر من كبار علماء اللغة العربية ورواة أشعارها ونقادها الكبار فحسب، بل كان من كبار علماء النسب، فقد قال الجاحظ [٣]: (ومن الرواة والنسابين والعلماء : خلف بن حيان الأحمر الأشعري)، وقد شغف خلف الأحمر برواية الشعر ونقده منذ أنْ كان يصاحب شيخه أبا عمرو بن العلاء، شيخ مدرسة البصرة، وأحد القراء السبعة، فكان يرافقه في تنقلاته في حلقات الدرس [٤]، كما كان خلف الأحمر يخرج إلى البادية، ليأخذ الشعر من أفواه الأعراب، وأبناء الشعراء وأحفادهم، وكانت له صلات قوية مع أهل البادية [٥]، وكان يصاحبه في تلك الرحلات يُونس بن حبيب، وأبو محمد اليزيدي[٦]، ولكثرة ما كان يحفظ من الشعر وعلوم اللغة والغريب والنقد ويروي، فأصبح نجمًا لامعًا في سماء علوم اللغة العربية وآدابها ونقدها، وأصبح من كبار اللغويين في الجيل الثالث من القرن الهجري الثاني[٧]، ورأسًا من رؤوس الرواية إذ أخذ عنه الرواة البصريون

(١) وفيات الأعيان : ٧/ ٢٤٥، وقال الأصمعي : رأيت خلفًا في حلقة أبي زيد، نزهة الألباء في طبقات الأدباء : ١١٤

(٢) طبقات النحويين واللغويين : ٣٢٠

(٣) البيان والتبيين : ١/ ٣٦١

(٤) الفهرست : ٥٠

(٥) المعارف : ٥٤٦

(٦) طبقات فحول الشعراء : ٥٧/١، آمالي القالي : ٢/ ٧٤، مجمع الأمثال : ٥٢/٢

(٧) النقد عند اللغويين : ٦٦

جميعًا[١]، وهو ثالث الطبقة الأولى من الرواة الرواد وهم (أبو عمرو بن العلاء، وحمّاد الراوية، وخلف الأحمر، والمفضل الضّبّي)[٢]، فقد ذكر أبو عبيدة أنَّ خلف الأحمر هو معلم الأصمعي، ومعلم أهل البصرة [٣]، سمع خلف الأحمر حمّاد الراوية الكوفي في الكوفة، وأخذ عنه، وهو تلميذه، وتلميذ أبي زيد الأنصاري الذي أخذ عن الكوفيين أيضاً[٤]، ومن خلف الأحمر تعلم الأصمعي نقد الشعر[٥]، وعنه أخذ أبو عبدالله محمد بن سلّام الجُمحي رواية الشعر وصنعته[٦]، فقد قيل لأبي نؤاس [٧]: (ما تقول في الأصمعي ؟ فقال : بلبلٌ في قفص، وقيل له : فما تقول في خلف الأحمر ؟ فقال : جمع علوم الناس وفهمها، وقيل له : فما تقول في أبي عبيدة ؟ فقال : ذاك أديم طُويَ على علم)، وهذا يعني أنَّ خلف الأحمر يمتلك قدرة استيعابية كبيرة جدًا، يعجز كثيرٌ من العلماء من الوصول إليها، كما أنَّ خلف الأحمر كان معلمًا للشاعر أبي نؤاس، وهو الذي أجازه في نظم الشعر بعد أنْ صحبه بعد وفاة شيخه والبة بن الحباب[٨] وأبو نؤاس هو الذي حمل ديوان شعر خلف الأحمر، ورواه وأذاعه بين الناس[٩]، رويَ أنَّ حجم ديوان خلف الأحمر يبلغ خمسين ورقة [١٠]، ولكن للآسف ضاع ديوان شعره، فأعاد جمعه الأستاذ

(١) مصادر الشعر الجاهلي : ٤٦٦

(٢) المصدر السابق : ٢٦٨

(٣) نزهة الالباء : ٧٠، طبقات الشعراء : ١٤٨

(٤) تاريخ الشعر العربي : ٢٠٦

(٥) المزهر : ٢ / ٤٠٣

(٦) م . ن . : ٢ / ٤٠٥

(٧) وفيات الأعيان : ٥/ ٢٣٨، أخبار أبي نؤاس : ١٥٤، العقد الفريد : ٢٣٨/٢

(٨) طبقات الشعراء : ٢٠١، مختار الأغاني : ٣٤/٣، أخبار أبي نؤاس : ٥٥

(٩) معجم الأدباء : ١٧٩/٤، مراتب النحويين : ٥٧

(١٠) الفهرست : ١٦٢

ابراهيم النجار ونشره ضمن كتابه الموسوم (شعراء عباسيون منسيون) في الجزء الأول[١]، ساهم خلف الأحمر في حفظ التراث العربي، فقد صنف خلف الأحمر عدة كتب منها : كتاب في معاني القرآن[٢]، وكتاب آخر حمل عنوان كتاب جبال العرب وما قيل فيها من الشعر[٣]، لذا فقد تجاوزت دائرة روايته للشعر البصرة لتصل إلى بغداد والكوفة، وأصبح مصدرًا مهمًا من مصادر رواية الشعر، ولاسيما بعد وفاة حمّاد الراوية، إذ كان يفد إليه رواة الكوفة ليوثقوا أشعارهم منه [٤]، وبذلك كان لابدَّ لهذه الشهرة والنجومية من ثمنٍ يدفعه خلف الأحمر، فتمثل ذلك الثمن في اتهامه بالوضع والنحل والانتحال وتجريحه وتكذيب روايته، فبدأت سهام الاتهامات والتجريحات تنهال عليه من بعض رواة المدرستين (البصرة والكوفة) المغرضين لا لسبب غزارة علمه باللغة والنحو والأدب ورواية الشعر ونقده، بل حسدًا وبغضًا، ولاسيما أنَّ خلف الأحمر هو أشعر العلماء[٥] فضلًا عن كونه كان يخالفهم في معتقده السياسي والديني، فهم بين معتزلي أو عباسي الهوى في حين كان خلف الأحمر علوي الهوى[٦]، وحينما وجد خصومه أنفسهم ضعفاء أمام قوة مرويات خلف الأحمر مع كثرة العلماء والرواة الذين يأخذون بمروياته، فوقفوا عاجزين عن مجاراته، لذلك لجأوا الى الطعن فيه من خلال الوضع عليه في أقواله، ومن ذلك عندما وضعوا على لسانه ما لم يقل به فقالوا : إنّ خلف الأحمر قال[٧]:

(١) شعراء عباسيون منسيون : الجزء الأول
(٢) المصدر السابق : ٣٤
(٣) المصدر السابق : ٥٠
(٤) مراتب النحويين : ٥٩
(٥) طبقات الشعراء : ١٤٦-١٤٧
(٦) الأشباه والنظائر : ٢/ ١١٥- ١١٦
(٧) الأغاني : ٦/٩٢

(كنت آخذ من حمّاد الراوية الصحيح من أشعار العرب، وأعطيه المنحول، فيقبل ذلك مني ويدخله في أشعارها) هذه الرواية ساذجة ومتكلفة، والوضع فيها واضحٌ ومكشوف يصرخ بوجه قارئه قائلًا : كذبٌ وافتراء فلا تصدق، فكيف يأخذ من حمّاد الراوية الصحيح من الأشعار، ويعطيه المنحول ؟ وكيف يقبل الرواة بعد ذلك الأخذ بمروياته، إذا علمنا أنَّ خلفًا هو معلمهم، فإذا كان المعلم هكذا ! فكيف بك بتلاميذه من الرواة، فهم أيضا وضاعون، وليسوا بثقة، والواقع يشير إلى خلاف ذلك، فرواة البصرة هم أكثر الرواة توثيقًا، وهذا يؤكد أنَّ الرواية موضوعة، وغير صحيحة وهي من صناعة خصومه، فضلًا عن أنَّ خلف الأحمر هو [١]: (أول من أحدث السماع بالبصرة وذلك أنَّهُ جاء إلى حمّاد الراوية فسمع منه)، وهذا يعني أنَّ خلفًا كان ممن يوثقون مرويات حمّاد الراوية، وهذا هو الصحيح الذي يقبله العقل ويقرُ به المنطق، وبالمحصلة النهائية أنَّ تلك الرواية كاذبة ومفتعلة وموضوعة، وهي مرفوضة جملةً وتفصيلًا، لأنها من دسِّ الشعوبية وصناعتها، والهدف منها ليس الإساءة لخلف الأحمر وحده - وعلى الرغم من تحفظ الدكتورة سنية الجبوري على مرويات خلف الأحمر إلا أنَّها قالت في المحصلة النهائية [٢]: (إنَّ خلف كان ثقةً في غالبية ما روى) - وخصوم خلف الأحمر أرادوا هدم التراث العربي من خلال التشكيك بصحة مروياته، ومع ذلك كان خلف الأحمر رجلًا مؤمنًا صالحًا، صاحب تقوى وورع ناسكًا [٣]، إذ (كان يختمُ القرآن الكريم في كلِّ يوم وليلة، وقد بذل له بعض الملوك مالًا عظيمًا خطيرًا على أنْ يتكلم بيت شعرٍ شكرًا فيه فأبى)، وكان لا يضع رأسه على وسادة النوم حتى يقرأ شيئًا من تُراث الأدب العربي، فقد قال أبو القاسم

(١) نزهة الالباء : ٣٧، معجم الأدباء : ١٧٩/٤

(٢) لنقد عند اللغويين : ١٤٣

(٣) المزهر : ٢ / ٤٠٥

الزجاجي[1]: (أخبرنا أبو الحسن الأخفش قال : أخبرنا محمد بن يزيد، عن أبي عثمان المازني عن الأصمعي قال : كان خلف إذا آوى إلى فراشهِ لا يضطجع حتى ينشد :

لا يبرحُ المرءُ يستقري مضاجعه حتى يبيتُ بأقصاهن مضجعا

وليس ينفك يستصفي مشاربه حتى يجوع من رنق البلى جرعا

فامنع جفونك طول الليل رقدتها وامنع حشاك لذيذ الري والشبعا

واستشعر البر والتقوى تعد بها حتى تنال بهن الفوز والرفعا).

(٣) أمالي الزجاجي : ٦٤

المبحث الثاني

أسرته وعقيدته:

بعد مقتل الخليفة عمر بن الخطاب ظهرت بوادر الفرقة والتحزب، فانقسم المسلمون على فريقين الأول يناصر الخليفة عثمان بن عفان، ومن خلاله يؤيدون البيت الأموي الذي قويت شوكته في هذه الخلافة، والفريق الثاني كان يرى أنَّ الخلافة يجب أنْ تعود إلى البيت الهاشمي، وأنْ يكون خليفة المسلمين هو الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فتوزع المسلمون على الفريقين، وحدثت على أثر ذلك فتنة عمياء، وللأسف ترتب عليها حروب دامية، كان المسلمون في غنىً عنها، وتبعًا لذلك حدثت حالات إقصاء وإبعاد للطرف المعارض حتى وصلت إلى حد التصفية الجسدية، فسالت دماءٌ كثيرة، كان يجب أنْ تسيل في خدمة الإسلام، وليس للصراع على السلطة، فراح عدد كبير من الصحابة وأبنائهم وأحفادهم ضحايا لهذه الصراعات، وكان حصة الأسد من الإقصاء والإبعاد والإستشهاد لآل بيت النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فبعد استشهاد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وتحول الحكم إلى الأمويين حدثت في سنة إحدى وستين للهجرة مجزرة يندى لها ضمير الإنسانية، فقد تمت تصفية آل البيت الكرام، وفي المقدمة منهم سبط رسول الله، وسيد شباب أهل الجنة الإمام الحُسين بن علي (عليهما السلام) وذلك نتيجة لمعارضته سير الحكم الأموي الذي انحرف عن المسار الصحيح للإسلام، الذي أرسى قواعده جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فرفع شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والسير بالحكم على منهج رسول الله وشرعته، فقال : (أنا لم أخرج أشرًا ولا بطرًا، وإنّما خرجتُ لطلب الإصلاح في أمة جدي)، فكانت نتيجة تلك النهضة استشهاد خيار المسلمين من بعض الصحابة وأبناء الصحابة من المهاجرين

والأنصار، وعلى إثر ذلك انشق المسلمون الى فريقين اصطف الفريق الأول مع الأمويين، فيما اصطف الفريق الثاني الذي كان معارضًا للحكم الأموي مع آل رسول الله ومؤيدًا لهم المتمثلين بالإمام علي بن أبي طالب وأولاده من بعده، واستمر الصراع الدموي طويلًا، ومازال قائمًا الى يومنا الحاضر، لنعيش أثاره المأساوية والمؤلمة، فكانت أسرة خلف الأحمر وعائلته ممن كانوا مصطفين مع البيت العلوي ويناصرونهم، ويناهضون أعداءهم، فقد سكن خلف الأحمر بن حيان البصري الأشعري مدينة البصرة، فيما سكن أخوه أبو خالد سليمان بن حيان الأحمر الكوفة [١]، ولخلف الأحمر ولدان هما : محرز وبه يكنى، وبه يعرف بأبي محرز [٢]، وأما ابنهُ الثاني، فهو محمد بن خلف بن حيان، وكان راويةً إخباريًا، وبه كان خلف الأحمر يكنى أيضًا[٣]، ذكر ذلك محمد بن داود بن الجراح حين قال [٤]: (حدثنا محمد بن خلف بن حيان، قال حدثنا أبو حذافة السهمي قال : سمعت مالك بن أنس يقول : قال عمرو بن العاص : (إني لفي شرب من قريش في الجاهلية، إذ رأيت في دار الخطاب بن نفيل نارًا، فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : ولد له مولود، فقلت ما سماه ؟ قالوا : عمر)، ولا نعرف عنه بعد ذلك شيئًا، ويبدو أنَّهُ لم يحصل على ذات الشهرة والمكانة التي كان عليها أبوه خلف الأحمر، وكان خلف الأحمر وأسرته من الموالين لأهل البيت (عليهم السلام)، وكانوا على معتقدهم، فقد ذكر الخالديان أنَّ خلف الأحمر كان في المربد، وفي المجالس الخاصة، يقرأ قصائد رثاء (تعزية) على أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب وأولاده (عليهم السلام)، وما نالهم، وجرى

(١) مقاتل الطالبيين : ٣٠٥ – ٣٠٦

(٢) البيان والتبيين : ١٢٩/١

(٣) المزهر : ٢ / ٤٠٣

(٤) من اسمه عمرو من الشعراء : ٩٩

عليهم من ظلم وتقتيل وتشريد، فقد نقل الخالديان عن الصولي عن أبي العيناء عن العتبي قوله [1]: (كنت جالسًا يومًا بالمربد مع جماعة من أهل الأدب، ومعهم خلف الأحمر، يتذاكرون أشعار العرب، ثم أخذ خلف ينشد قصيدة لامية في رثاء أهل البيت (عليهم السلام)، يذكر فيها وُلْدَ أمير المؤمنين عليهم الرحمة، وما نالهم من ظلمٍ، إذ هجم عليهم الأصمعي وكان منحرفًا عن أهل البيت، فقطع خلف قصيدته، ودخل في لامية العرب، ولما انصرف الأصمعي، أقبلوا على خلف يطرون عليه سرعة بديهته، ومقدرته على الإرتجال، ولكنه قال لهم : إنَّ تقريظكم لي لأنّي عملت الشعر، فما عملته والله، ولكنه للشنفرى، والله لو سمع الأصمعي بيتًا من الشعر الذي كنت أنشدكموه ما أمسي، أو يقوم خطيبًا على منبر البصرة، فيتلف نفسي، فادعاء شعر لو أردت قول مثله ما تعذر علي، أهون عندي من أنْ يتصل بالسلطان فألحق باللطيف الخبير)، وواقع الحال يقول صحيح أنَّ الأصمعي كان منحرفًا عن أهل البيت ومبغضًا لهم، فقد أكد ذلك أبو العيناء حين قال[2]: (كنا في جنازة الأصمعي، فهجا أبو قلابة حُبيش بن عبدالرحمن الجُرمي الشاعر الأصمعي قائلًا :

لعنَ اللهُ أعظماً حملوها نحوَ دارِ البلى على خشباتِ

أعظماً تبغضُ النبيَ وأهلَ الـ... بيتِ والطيبينَ و الطيباتِ).

وفضلاً عما تقدم فإنَّ الأصمعي كان لا يحتجُ بشعر الكميت، لأنَّهُ كان مواليًا لأهل البيت عليهم السلام[3]، وكذلك كان يرفض رواية شعر السيد الحميري، لأنَّهُ هو الآخر قد

(١) الأشباه والنظائر للخالديين : ١/١١٥ – ١١٦

(٢) الأصمعيات : ١٢

(٣) التنبيهات : ٢٤٧

خصَّ بشعره مدح أهل البيت الكرام عليهم السلام والثناء عليهم [١]، ولعلَّ سبب هذا البغض والتحامل على أهل البيت، ولاسيما أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، يعود الى إقامة الإمام عليّ (عليه السلام) الحدَّ على عليّ بن أصمع (جد الأصمعي)، حينما سرق فقطع يده، وقد سأل الرشيد العباسي الأصمعي يومًا قائلًا[٢]: (لم قطع عليٌ يدّ جدك عليّ بن أصمع ؟ فأجاب الأصمعي : ظلماً يا أمير المؤمنين)، وهنا أتساءل، هل إقامة الحد ومعاقبة الجاني، هو ظلمٌ، أم لإقامة العدل، وردع ذوي الضمائر الميتة من أمثال علي بن أصمع، ممن تسول لهم نفوسهم المريضة، وتبيح لهم ارتكاب المعاصي ؟ فإقامة الحد هو إصلاح لمنع انتشار ظاهرة السرقة وتفشيها في المجتمع الإسلامي، الذي نريد بناءه على وفق الأخلاق الحميدة ومكارم الأخلاق التي جاء بها رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد أكد عليّ بن حمزة، وهو بصري مثل الأصمعي، أنّ الأصمعي كان شديد البغض لأمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) [٣]، فضلًا عن كون علي بن أصمع جد الأصمعي، كان مسؤولًا عن محو المصاحف المخالفة لمصحف عثمان من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي والي الامويين على العراق، واياه عنى الشاعر بقوله [٤]:

وإلا رسومُ الدارِ قِفراً كأنَّهُ كتابٌ محاه الباهلي ابن أصمعا

أما أخوه الشقيق فهو أبو خالد، سليمان الأحمر بن حيان، فقد غادر البصرة ليسكن الكوفة، بالقرب من مرقد الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، وكان أبو خالد

(١) الأغاني (دار الكتب) : ٧/ ٢٣٢ – ٢٣٦

(٢) التنبيهات : ٢٤٧

(٣) التنبيهات : ٢٤٧

(٤) المراتب النحوية : ٧٢

من علماء الشيعة الثقاة، وكان من ضمن الثوار، الذين خرجوا مع إبراهيم بن الحسن العلوي في سنة ١٤٥هـ على المنصور العباسي، وبسبب ولائه لأهل البيت واشتراكه في ثورتهم ضد المنصور، خاصمه سفيان الثوري، ولم يكلمه حتى مات [١]، فقد خرج أبو خالد الأحمر مع يونس بن اسحق ليشاركا في الثورة، وأضاف أبو الفرج الأصفهاني قائلًا[٢]: (خرج سلام بن أبي واصل الحذاء، وعيسى بن اسحق السُبيعي، وأبو خالد الأحمر مصطحبين متنكرين مع الحاج، وعليهم جُباب من الصوف وعمائم من صوف، يسوقون الجمال في زي الجمّالين، حتى أمنوا، فعدلوا إلى إبراهيم، وكانوا معه حتى قتل)، توفي أبو خالد في سنة ١٨٩هـ بعد وفاة أخيه خلف الأحمر بتسع سنوات، إذ توفي خلف الأحمر في سنة ١٧٥هـ [٣] وقيل توفي في سنة ١٨٠هـ[٤] وهو الأرجح .

فقال الشاعر أبو نؤاس يرثيه [٥] :

لما رأيــتُ المنونَ آخــذةَ كلَّ شـديدٍ وكلَّ ذي ضعفْ
بتُ أعزي الفؤادَ عن خلفٍ وباتَ دمعي إلا يفض يكفْ
أنسَ الرزايا ميتٌ فجعتُ بهِ أمسى رهينَ الترابِ في جدفْ[٦]

(١) مقاتل الطالبيين : ٣٠٥ – ٣٠٦
(٢) م . ن : ٣٠٥
(٣) نور القبس : ١٨٠
(٤) معجم الأدباء : ١٧٩/٤
(٥) ديوانه : ٩٦٠
(٦) وكف يكف : سال قليلًا قليلًا، الجدب : القبر

وقال يرثيه ثانية [١] :

لو كان حي وائلا من التلف لو ألتْ شغواءُ في أعلى شعفْ
أمُ فريخٍ أحرزته في لجفْ مزعبُ الألمادِ لم يأكل بكـفْ
كأنه مستقعد من الخزفْ
لا تئل العصم في الهضاب ولا شعواء تغدو فرخين في لجفْ
تحنو بجؤشوشها عن ضـرم كقعدة المنحني من الخـرفْ

وفي مرضه الذي مات فيه، ذهب محمد بن عبدالوهاب الثقفي لعيادته وقال[٢]: (دخلتُ على خلف الأحمر أعوده في مرضه الذي توفي فيه، وجئته معي بطبيب، فقال لي : مرحباً بك، لقد كنت مشتاقًا إليك، فوصفتُ له الطبيب الذي جئت به وحذقه، فلم يلتفت إليه وقال : {قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ} [٣]، وهذا يعني أنَّ خلف الأحمر يؤمن أنَّ المرءَ لن يصيبه إلا ما كتب الله له.

وأما المعتقد الديني لخلف الأحمر ؛ فهو مؤيدٌ للعلويين، ومناصرٌ لهم، ومعارضٌ للعباسيين، الأمر الذي جعله بعيدًا عن مجالس الخلفاء العباسيين وولاتهم، فلم يتصل بهم، لذلك كان مهمومًا من أجل الشعراء والخطباء، الذين يجلسون الأيام بل الشهور على قارعة أبواب الخلفاء والأمراء والولاة حتى يؤذن لهم بالدخول، فقال معبرًا عن لسان حالهم [٤]: (كنتُ أرى أنْ ليس في الدنيا رقية أطولَ من رقية الحيّة، فإذا رقية الخبز

(١) ديوانه : ٩٦٠
(٢) طبقات النحويين واللغويين : ١٦٤
(٣) سورة التوبة ؛ الآية : ٥١
(٤) طبقات النحويين واللغويين : ٦٣

أطول)، يعني ما يتكلفه الشعراء والخطباء والرواة من طول الوقوف على أبواب الخلفاء العباسيين وأمرائهم وولاتهم، فلا يؤذن لهم يطالهم الذُلّ.

عصـــره :

يعد العصر العباسي الأول أزهى عصور الدولة العربية الإسلامية، ليس على نطاق قيادة الحكم فحسب، بل امتد ذلك ليشمل الحركة العلمية والأدبية بفرعيها اللغة والأدب، وكان لبناء مدينة بغداد حاضرة الدولة العباسية وعاصمتها أثر مهم، فقد احتضنت بغداد العلم والعلماء في العلوم كافة، الدينية والأدبية والفلسفية والإجتماعية وغيرها، فمن هذا المنطلق أصبحت بغداد قبلة العلماء والمتعلمين يقصدونها من مختلف أرجاء المعمورة، فيما أدى الخلفاء العباسيون وولاتهم دورًا كبير في تنشيط العلوم المختلفة، فاستقطبوا العلماء من كل مكان، وأغدقوا عليهم الجوائز السنية، لذا وجدنا مجالس الخلفاء العباسيين قد تحولت إلى منتديات ثقافية مهمة يثار فيها العلم والأدب، إذ كان الخلفاء أنفسهم يشاركون في دفة هذه المحاورات الثقافية، وبعد أن كان التنافس اللغوي والأدبي محصورًا بين ما يُسمى بمدرستي البصرة والكوفة، تحول إلى بغداد فظهرت ملامح مدرسة جديدة أخذت كثيرًا من مزايا مدرستي البصرة والكوفة، لذلك وفد إلى بغداد كبار علماء المدرستين، وبالمقابل انزوى عدد من العلماء، ولم يأتوا إلى بغداد لأسباب كثيرة لسنا هنا بصدد ذكر أسبابها ولكن نقول : إنَّ أبرز من امتنع من المجيء إلى بغداد هما : عبقري البصرة الخليل بن أحمد الفراهيدي، وشيخ رواة البصرة خلف الأحمر الذي سنتطرق إلى أسباب امتناعه من المجيء إلى بغداد في موضعه، أما أبرز علماء الكوفة الذين جاءوا إلى بغداد هم : الكسائي زعيم مدرسة الكوفة في زمانه وتلامذته الفراء وعلي بن المبارك الأحمر وهم أقطاب المسألة الزنبورية ومناظرتها،

والمفضل الضّبي أحد كبار رواة الكوفة وعلمائها ونقادها، وغيرهم كثير ؛ كما جاء إلى بغداد من البصرة كبار علمائها من أمثال أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي، وأبي زيد الأنصاري، وسيبويه القطب الآخر في المسألة الزبورية، والأصمعي أبو سعيد عبدالملك بن قريب الباهلي، وغيرهم كثير، ولعل أبو عبدالله محمد ابن مسلم ابن قتيبه الدينوري هو أشهر من جمع في علومه آراء العلماء البصريين والكوفيين، ونحن هنا لسنا بصدد بغداد ومن جاء إليها من علماء البصرة والكوفة وإنَّما أردت من ذلك المثال ليس غير.

شيوخ خلف الأحمر:

خلف الأحمر وُلد في البصرة، عاش فيها ونشأ وتعلم، فهو من نعومة أظفاره يرتاد حلقات الدرس في مساجدها، وقديمًا قالوا من شبَّ على شيءٍ شاب عليه، لذا فخلف الأحمر لزم معلمه الأول شيخه أبا عمرو ابن العلاء زعيم مدرسة البصرة، وأحد القراء السبعة، فقد تعلم منه علوم القرآن وتلاوته فضلًا عن علوم اللغة العربية ورواية الأشعار والأخبار ونقد الشعر، فقد كان يلازمه كظله لا يفارقه إلا عندما يذهب إلى النوم، وكان أبو عمرو بن العلاء يعتمده في مراسلاته مع علماء عصره، وبالمقابل كان خلف الأحمر رسولًا أمينًا، ينقل ما يحمل ذهابًا وإيابًا بكل أمانة وصدق حُبًا للعلم وأهله[1]، وفي الوقت نفسه كان يتعلم النحو وعلومه من العالم عيسى بن عمر [2]، وبعد وفاة أبي عمرو بن العلاء سنة ١٥٤هـ تحول خلف الأحمر إلى حلقة درس يونس ابن حبيب الضبّي وجلس بين يديه عشرين عامًا حتى أتقن علوم اللغة العربية ونحوها

(١) نور القبس : ٧٢

(٢) مراتب النحويين : ٥٩

فأصبح زعيمًا لمدرسة البصرة الأول ومعلمها [١]، وهذا ما اعترف به أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي في قوله [٢]، (هو معلم أهل البصرة) كما أكد ذلك معلمه يونس بن حبيب حينما عرض عليه الشاعر مروان بن أبي حفصة شعرًا ليسمع رأيه فيه فقال له [٣]، (يا ابن أخي إنَّ ها هنا خلف ولا يمكن أحدنا أنْ يسمع شعرًا حتى يحضر)، أما ابن رشيق القيرواني فقال [٤]: (كان أبو عمرو بن العلاء وأصحابه لا يجرون مع خلف الأحمر في حلبة هذه الصناعة (يعني النقد) ولا يشقون له غبارًا لنفاذه فيها وحذقه لها)، إما أبو الطيب اللغوي فقال[٥]: (لم أعلم أحدًا أعلم بالشعر والشعراء منه)، وأما تلميذه الأصمعي فقد قال [٦]: (كأنّما جعل علم لغة ابني نزار ومن كان من بني قحطان على لغة ابني نزار بين جوانح خلف بمعانيها).

تلامذة خلف الأحمر:

تلامذة خلف الأحمر النابهون والنابغون كثيرون، ولكن أشهر النابهين والنابغين ثلاثة هم : الشاعر العباسي الكبير الحسن بن هانئ الحكمي المعروف بأبي نؤاس، الذي لم تكد موهبته الشعرية تنضج بعد حتى مات معلمه الأول والبة بن الحباب، فتحول إلى معلمه الجديد خلف الأحمر الذي صقل موهبته الشعرية، فأصبح شاعرًا فذًا يشار إليه

(١) وفيات الأعيان : ٢٤٥/٧، نزهة الألباء : ١١٤

(٢) نزهة الألباء : ٧٠، طبقات الشعراء : ٤٨

(٣) العقد الفريد : ٢٧٩/٥

(٤) العمدة : ١١٧/١

(٥) مراتب النحويين : ٥٩

(٦) طبقات النحويين واللغويين : ١٦٣

بالبنان، فأجازه على نظم الشعر، وأطلق له العنان على قوله ومدح من يشاء [١]، فغادر أبو نؤاس البصرة متجهًا صوب المجد والتألق في بغداد، ليحتل المكان الذي يليق بموهبته الشعرية، فاحتضنه الرشيد العباسي وقربه من مجلسه ليكون من جلساء ديوانه الثقافي، وبعد وفاة الرشيد صحب ابنه الأمين، وأما التلميذ النابه الثاني، فهو الناقد الراوية محمد ابن سلّام الجمحي[٢] الذي تعلم من خلف الأحمر رواية الشعر ونقده حتى برع فيهما فألف كتابه المشهور (طبقات فحول الشعراء)، وكان يقول عن شيخه ومعلمه[٣]: (أجمع أصحابنا أنَّهُ كان أفرس الناس ببيت شعر وأصدقه لسانًا كنا لا نبالي إذا أخذنا عنه خبرًا أو أنشدنا شعرًا أنْ لا نسمعه من صاحبه)، وأما التلميذ النابه الثالث فهو الناقد الكبير والرواية المشهور أبو سعيد عبدالملك بن قريب الأصمعي [٤]، الذي هو الآخر قدِمَ صوب بغداد ليحتل المكانة التي تليق به، ليكون من خاصة جلساء الرشيد، ومن هذا المجلس ذاع صيت الأصمعي في رواية الشعر ونقده، فأصبح الناقد الفحل الذي لا يشق له غبار ولا ينافسه أحد، ولاسيما بعد وفاة معلمه خلف الأحمر، وهناك تلامذة آخرون لسنا بصدد الوقوف عليهم، لأننا أردنا المثال فحسب.

(١) طبقات الشعراء : ٢٠١، أخبار أبي نؤاس : ٥٥

(٢) المزهر : ٤٠٥/٢

(٣) طبقات فحول الشعراء :/٢٣

(٤) وفيات الأعيان : ٢٤٥/٧

مجلس خلف الأحمر:

كان لخلف الأحمر حلقة درس مهمة ومعروفة في البصرة، يتوافد عليها طلبة العلم من المدن الإسلامية كافة، وهي من حلقات الدرس الكبيرة، وذلك لموسوعية علم خلف الأحمر وتنوعه، في اللغة وعلومها فضلًا عن إحاطته الشمولية في علم رواية الشعر ونقده، وقد أكد هذه الحقيقة ابن رشيق القيرواني في قوله[١]: (كان أبو عمرو بن العلاء وأصحابه لا يجرون مع خلف الأحمر في حلبة هذه الصناعة . أعني النقد . ولا يشقون له غبارًا لنفاذه فيها وحذقه بها وإجادته لها) فيما قال أبو الطيب اللغوي [٢]: (لم يزدحم العلم بالشعر في صدر أحد كما ازدحم في صدره) وقصد بذلك خلف الأحمر، وكان خلف يقيم حلقة الدرس في بيته فقد قال تلامذته [٣]: (كنا نأتي خلف الأحمر لنأخذ عنه، فيدخل قصرًا كقصر ملك، فيه فراش الشتاء في وقته، وفراش الصيف في وقته، ويخرج علينا الأحمر وعليه ثياب كثياب الملوك، تنفحُ منها رائحة المسك والبخور، ويلقانا بوجهٍ طلقٍ وبشرٍ حسن)، وهذا كما أرى من آداب الدرس والقيافة أنْ يظهر الأستاذ أو الشيخ أمام طلبته بمظهرٍ حسنٍ ووقارٍ وهيبةٍ، فضلًا عن حسن المعاملة مع استقبال الدرس بوجه بشوش غير عبوس، ليبني علاقة حسنة مع طلبته فيحبوه ومن خلاله يحبون الدرس، أليس هذا ما تدعو إليه المؤسسات التعليمية في كل أنحاء العالم اليوم، فيما قال تلامذة الفّراء [٤]: (كان يخرج علينا مُعبسًا، وقد اشتمل بكسائه، ولا يدخلنا في داره،

(١) العمدة : ١/ ١١٧

(٢) معجم الشعراء : ١٨ / ١٢٨

(٣) مخطوطة المجموعة النفيسة : ١٤٤

(٤) م. ن والصفحة نفسها

بل يجلس هو على عتبة الدار، ونحن نجلس على قارعة الطريق في الحر والبرد)، ولا أريد التعليق فالنصوص تنطق وتعبر عن أصحابها، وشتان ما بين الشيخين.

المبحث الثالث

علاقته بأبي عمرو بن العلاء والشاعر بشار بن برد، خلف الأحمر والمسألة الزنبورية :

خلف الأحمر تجمعه مع شيخه ومعلمه أبي عمرو بن العلاء علاقة وطيدة ومتينة، إذ كان يعول عليه كثيرًا، فيبعثهُ رسولًا عنه إلى بعض حلقات الدرس في عدد من المسائل اللغوية إلى كبار علماء عصره فيأتيه بالإجابة[١]، ويتخذه رفيقًا عندما يذهب إلى الشاعر بشار بن برد، فقد روى الأصمعي (ت٢١٦هـ) قائلًا[٢] : (كنتُ أسير مع أبي عمرو بن العلاء وخلف الأحمر ، وكانا يأتيان بشار فيسلمان عليه بغاية الإعظام ثم يقولان : يا أبا معاذ ماذا أحدثت ؟ فيخبرهما وينشدهما ويسألانه ويكتبان عنه متواضعين له حتى يأتي وقت الزوال ثم ينصرفان)، وبعد وفاة أبي عمرو بن العلاء، بقي خلف الأحمر على علاقةٍ وثيقةٍ مع الشاعر بشار بن برد فيوجه إليه النقد فيقبل ذلك منه بشار، وفي أحيان أخرى كان بشار يوضح لخلف الأحمر ما يريد من هذه القصيدة أو تلك[٣](كان بشار ابن برد على عنفه المعروف يتقبل توجيهات أبي عمرو بن العلاء وخلف الأحمر، ومناقشتهما له، لما استعمل من الألفاظ في قصيدته، التي قالها في سَلم بن قتيبة، والتي جعلها أعرابية وحشية في بنائها) وكان خلف الأحمر[٤] مقتنعًا تمامًا بتعقيب بشار على مناقشته له عندما أنشد قصيدته ذات المطلع :

---

(١) أمالي الزجاجي : ٢٤٢

(٢) الفهرست : ٥٠

(٣) اعجاز القرآن للجرجاني : ٢١٠ – ٢١١، الأغاني : ٣/ ١٩٠، تهذيب الإيضاح للقزويني : ٣/ ٥٨ – ٥٩

(٤) إعجاز القرآن : ٢١١، الأغاني : ٣/ ١٩٠، تهذيب الإيضاح : ٣ / ٥٨-٥٩

بكّرا صاحبيَ قبل الهجيرِ إنَّ ذاكَ النجاح في التبكيرِ

قال خلف : لو قلت يا أبا معاذ مكان إنَّ ذاك النجاح بكرا، فالنجاح في التبكير كان أحسن، فقال بشار : إنما بنيتها إعرابية وحشية، فقلت إن ذاك النجاح في التبكير، كما يقول الأعراب البدويون، ولو قلت بكرا فالنجاح، كان هذا من كلام المولدين ولا يشبه ذاك الكلام، ولا يدخل في معنى القصيدة، فقام خلف الأحمر فقبل ما بين عيني بشار إعجابا بتخريجه هذا، فعلق الجرجاني على ذلك بقوله [1]: (فهل كان هذا القول من خلف والنقد على بشار إلا للطف المعنى في ذلك وخفائه.

خلف الأحمر والمسألة الزنبورية :

هذه القصة، معروفة عند أهل اللغة والنحو، ومحتواها ما قاله الزجاجي : أخبرنا أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش النحوي، حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب قال : حدثني سلمة قال: قال الفّراء: (قدم سيبويه على البرامكة فعزم يحيى على الجمع بينه وبين الكسائي، فجعل لذلك يومًا، فلما حضر تقدمتُ والأحمر فدخلنا... فأقبل عليه الأحمر فسأله عن مسالة، فأجاب فيها سيبويه، فقال له: أخطأت، فسأله عن ثانية فأجاب، فقال له : أخطأت..... فحضر الكسائي فأقبل على سيبويه، فقال : تسألني أو أسألك ؟ قال : لا، بل سلني أنتَ، فأقبل عليه الكسائي فقال : كيف تقول : كنت أظن أنَّ العقربَ أشد لسعةً من الزنبور، فإذا هو هي، أو فإذا هو إياها ؟ فقال سيبويه : فإذا هو هي، ولا يجوز النصب. فقال الكسائي لحنت، ثم سأله عن مسائل من هذا النحو..... فقال يحيى بن خالد قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما فمن ذا يحكم بينكما ؟ فقال له

(١) دلائل الإعجاز : ٢١١

الكسائي : هذه العرب ببابك..... وهم فصحاء الناس، وقد قنع بهما أهل المصرين..... فقال يحيى وجعفر : قد أنصفت، فأمر بإحضارهم، فدخلوا..... فتابعوا الكسائي)[1].

هذه القصة حصل فيها خلط بين الأسماء، فضلًا عن وهم بعض الرواة باسم الشخص المقصود، فقد ذكرت الروايات التي نقلت لنا الخبر أنَّهُ الأحمر وهنا على القارئ الكريم أنْ يلتفت إلى نقطة جوهرية ومهمة، تتمثل في أنَّهُ كان أحد تلامذة الكسائي يعرف بالأحمر، وهو علي بن المبارك الأحمر النحوي الكوفي[2]، وكان الأحمر هذا مصاحبًا للفّراء التلميذ الآخر للكسائي في حلقات الدرس عند الكسائي، وهما أبرز تلامذته، فقد روى جمال الدين القفطي[3] أنّ سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش الراوية قد أخبره سيبويه بنبأ المناظرة ، بعد رجوعه من بغداد، قال الأخفش الذي ذهب إلى بغداد بعد وداع أستاذه منتصرًا له بمناظرة الكسائي فوافيت مسجد الكسائي فصليت خلفه الغداة وقعد في محرابه وبين يديه الفراء والأحمر وهشام وابن سعدان...).

قال أبو الطيب اللغوي في فاتحة مراتب النحويين ما نصه (ويحكون المسألة عن (الأحمر فلا يدرون : أ هو الأحمر البصري أم الأحمر الكوفي؟) والروايات القديمة الأربع تذكر الأحمر بإطلاق من غير أنْ تُسمي تلك الشخصية وهي كما يأتي [4] :

(١) أمالي الزجاجي : ٢٣٩

(٢) أنباه الرواة : ٢/ ٣٦

(٣) أنباه الرواة والصفحة نفسها

(٤) المقدمة في النحو : ١١

١- رواية أحمد بن يحيى المعروف بثعلب، ومحمد بن يزيد الثمالي المعروف بالمبرد ونصها: (حضر سيبويه وحده، وحضر الكسائي ومعه الفّراء والأحمر وغيرهما من أصحابه...).

٢- رواية المازني ويحكيها عن الأخفش أنبغ تلاميذ سيبويه ونصها : (فلما كان ذلك اليوم، غدا سيبويه إلى دار الرشيد، فوجد الفّراء والأحمر، وهشام بن معاوية، ومحمد بن سفيان...).

٣- رواية الفّراء أنبغ تلاميذ الكسائي وأنبههم ونصها : (فلما حضر تقدمتُ أنا والأحمر...).

٤- رواية الزجاجي في أماليه عن الأخفش عن ثعلب عن سلمة عن الفّراء الذي قال[١]: (فلما حضر تقدمت والأحمر فدخلنا ... فاقبل عليه الأحمر فسأله...).

هذه الروايات الأربع لم يذكر فيها الإسم صريحًا، وإنما تم الاكتفاء باللقب واللقب مشترك لأربعة من الأحامر، ولكن الوهم واللبس حصل من رواية ابن هشام في مغني اللبيب[٢] (فلما حضر سيبويه تقدم إليه الفّراء وخلف...)، ولكن محققا الكتاب تنبها النقطة المهمة وقالا[٣] : (وهذا سهو من المؤلف، ففي المصادر القديمة ذكر اللقب ((الأحمر)) فظن بعضهم أنَّهُ خلف الأحمر خطأً، وإنَّما هو علي بن المبارك المعروف بالأحمر)، وتابع ابن هشام على الوهم النحاة المتأخرون مثل الرضي الإستراباذي[٤]،

(١) أمالي الزجاجي : ٢٣٩

(٢) مغني اللبيب : ١/ ١٧٩

(٣) م. ن والصفحة نفسها (الهامش (٧)

(٤) شرح الكافية : ١/ ١٢٨

والسيوطي[1] وليس شيء أدلُ على هذا الخطأ من قوله : (وقال خلف من الكوفيين) وواقع الحال يقول خلف من البصريين وليس الكوفيين، ولكن اللافت للنظر هو أنَّ السيوطي يذكر الأحامر الأربعة ومنهم علي بن المبارك الأحمر، ولا ينتبه إلى الوهم والخلط الحاصل في الرواية.

بعد هذه المقدمة وما فيها من الأدلة على بطلان الرواية التي تقحم خلف الأحمر فيها، وهو براءٌ منها، وأقول : إنّ اسم خلف الأحمر مقحم على الرواية، وليس جزءًا منها، لذلك أقول: لا يمكن التسليم بصحتها، ولا سبيل إلى قبولها، لأنَّ فيها افتراء على رجلٍ لا علم له بهذه الرواية، وهي عارية من الصحة، كان الهدف منها تشويه مكانة خلف الأحمر العلمية والإساءة إلى شخصيته، علما أنَّ خلف الأحمر لم يفد إلى بغداد ولم يصلها، ولم يحضر مجالس الخلفاء العباسيين وأمرائهم، لأنَّهُ كان ممن يخالفونهم في المعتقد والسياسة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أنّ خلفَ الأحمر ينتمي إلى مدرسة البصرة المؤيدة لأقوال سيبويه وآرائه، وأنّ سيبويه هو من مدرسة البصرة والكسائي من مدرسة الكوفة المنافسة للبصرة، والمنافسة بين المدرستين كانت كبيرة تصل إلى حد التعصب المفرط، وخلف الأحمر ينتمي الى مدرسة البصرة، فكيف يكون خلف أداة لتخطئة سيبويه، فضلًا عن ذلك أنّ خلف الأحمر لم يزر الكوفة طيلة حياته إلا مرة واحدة، وذلك عندما ذهب إلى حمّاد الراوية ليأخذ عنه رواية الشعر والنقد، ومن ثَمَّ نقل القياس من حمّاد الراوية إلى البصرة، وبذلك هو لم يلتقِ بالفراء، ولا بالكسائي فكيف يكون مؤيدًا للكسائي في أقواله وآرائه، لذلك إنّ هذه الرواية باطلة من وجوه كافة، ولا سبيل إلى قبولها، بموجب المعطيات الآنفة الذكر، ولكن الرواية الصحيحة التي يقبل بها العقل

(١) بغية الوعاة : ٤٣٦

والمنطق، هي أنَّ الأحمر الذي ورد ذكره في الرواية، هو علي بن المبارك النحوي الكوفي، تلميذ الكسائي انتصارًا لشيخه، وليس خلف الأحمر البصري.

المبحث الرابع

مؤلفاته وبعض آرائه النقدية:

صنف خلف الأحمر عدة مصنفات في الأدب واللغة وعلومها والنحو والنقد فضلًا عما نظمه من الشعر، ولكن للأسف أنَّ آثار هذا الرجل قد طالتها يد النسيان، فطوتها ولم يصل إلينا منها سوى كتاب في النحو، حمل عنوان (مقدمة في النحو)، فيما ذهبت بقية آثاره أدراج الرياح، ولعلَّ الله سبحانه وتعالى سيقيض لها من يعثر عليها، وينفض الغبار عنها، ليحققها ويعيدها إلى التداول بين يدي القراء، كلنا أمل في ذلك ، وفيما يأتي أسماء آثاره التي وقفتُ عليها:

١- معاني القرآن[١] : وهو مفقود.

٢- ديوان خلف الأحمر، وهو مفقود ولكن جُمع شعره وطُبع[٢]، في شعراء عباسيون منسيون : الجزء الأول.

٣- كتاب جبال العرب وما قيل فيها من الشعر، والكتاب هو الآخر مفقود[٣].

٤- مقدمة في النحو : مطبوع وهو قيد التداول[٤].

٥- كتاب العدد[١]: والكتابُ مفقودٌ، ولكن أشار إليه إدريس بن عبدالكريم في قوله : قال لي سلمة بن عاصم أريدُ أنْ أسمع كتاب العدد من خلف، فقلت لخلف، فقال :

---

(١) - بغية الوعاة : ٤٣٦

(٢) - الفهرست : ٣٤

(٣) - شعراء عباسيون منسيون : الجزء الأول

(٤) - الفهرست : ٥٠

فليجيء، فلما دخل عليه رفعه لأنْ يجلس في الصدر، فأبى وقال : لا أجلس إلا بين يديك، أمرنا أنْ نتواضع لمن نتعلم منه.

يُعد خلف الأحمر من كبار نقاد اللغة العربية وأدبها، فقد كان متبحرًا باللغة العربية وعلومها، وقد أكد ذلك الأصمعي في قوله[٢]: (كأنَّما جعل علم لغة ابني نزار، ومن كان من بني قحطان على لغة ابني نزار بين جوانح خلف بمعانيها)، هذا من ناحية اللغة وعلومها، أما في النقد فقد كان الفارس المقدم على أقرانه وعلماء عصره في هذا الميدان من الأدب، فقد قال ابن رشيق القيرواني[٣]: (كان أبو عمرو بن العلاء وأصحابه لا يجرون مع خلف الأحمر في حلبة هذه الصناعة (أعني النقد) ولا يشقون له غبارًا لنفاذه فيها وحذقه بها وإجادته لها)، فيما قال أبو الطيب اللغوي[٤] : (لم أجد أعلم بالشعر والشعراء منه، قيل لخلف الأحمر[٥]: (إنك لا تزال ترد الشيء من الشعر وتقول : هو رديء، والناس يستحسنونه، فقال : إذا قال لك الصيرفي : إنَّ هذا الدرهم زائف، فأجهد جهدك أنْ تنفقه فلا ينفعك قول غيره أنَّهُ جيد) والذي ذهب إليه خلف الأحمر هو قريب جدًا مما نصت عليه كتب اللغة في معنى النقد[٦]، وقيل له مرة أخرى[٧]: (بأيِّ

---

(١) - وهو كتاب المقدمة في النحو

(٢) - نزهة الألباء في طبقات الأدباء : ١٣٠

(٣) - طبقات النحويين واللغويين : ١٦٣

(٤) - العمدة : ١/ ١١٧، فيما قال السيوطي : ما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الأحمر وابن دريد، المزهر : ٢ / ٤٠٩

(٥) - مراتب النحويين : ٥٩

(٦) - المزهر : ١ / ١٧٣

(٧) - لسان العرب، مادة : تقد

شيءٍ ترد هذه الأشعار التي تروى ؟ فأجاب : هل فيها ما تعلم أنت أنَّهُ مصنوع لا خير فيه ؟ قال: نعم، قال : فلا تنكر أنْ يعلموا من ذلك أكثر مما تعلمه أنتَ).

قال خلف الأحمر لم أرَ أجمع من قول أمرئ القيس :[1]

أفادَ وأجادَ وسادَ وزادَ وقادَ وذادَ وعادَ وأفضلْ

وقوله :

له أيطلا ظبيٍ وساقا نعامةٍ وإرخاء سرحانٍ وتقريبُ تفتلِ

قال مروان بن أبي حفصة[2]: لما مدحتُ المهدي بشعري الذي أوله :

طرقتكَ زائرةً فحيي خيالها بيضاءُ تخلطُ بالحياءِ دلالها

أردتُ أنْ عرضهُ على بصراء البصرة، فدخلتُ المسجد الجامع، فتصفحتُ الحلق، فلم أرَ حلقة أعظم من حلقة يونس النحوي، فجلستُ إليه، فقلتُ لهُ : إنّي مدحتُ المهدي بشعرٍ، وأردتُ ألا أرفعه حتى أعرضهُ على بُصرائِكم، وإنّي تصفحتُ الحلق فلم أرَ حلقة أحفلُ من حلقتك، فإنْ رأيت أنْ تسمعهُ مني فأفعل، فقال : يا ابن أخي إنَّ ها هنا خلف، ولا يمكن لأحدنا أنْ يسمع شعرًا حتى يحضر، فإذا حضر فاسمعه، فجلستُ حتى أقبل خلف الأحمر، فلما جلس جلستُ إليه، ثم قلتُ لهُ ما قلتُ ليونس، فقال : أنشد يا ابن أخي، فأنشدته حتى أتيتُ على آخره، فقال لي : أنت والله كأعشى بكر، بل أنت أشعرُ منهُ حيث يقول :

(١) - البيان والتبيين : ٣٢/٤

(٢) طبقات فحول الشعراء : ٨، جمهرة اللغة : ٣ / ٣٤٤

رحلتْ سُمية ،غدوةً أجمالها غضبى عليكَ فما تقولُ بدالها ؟

هذا الخبر يؤكد بما لا يقبل الشك أنّ علماء البصرة من الرواة والنقاد والنحاة يُقِرون لخلف الأحمر بالزعامة في مضمار النقد، وهذا ما أكده ابن رشيق القيرواني كما سبق.

قد ذكر لنا المرزباني بعضًا من آرائه النقدية، وكانت تتميز بالحدة والشدة، فهو لا يُماري ولا يُحابي في النقد، وهذه طُرَفٌ من تلك الآراء :

أ – قال المرزباني[1]: وجدتُ بخط مهرويه، قال : حدثني العباس بن ميمون، قال : سمعت الأصمعي يقول : حضرنا مأدبة وأبو محرز خلف الأحمر وابن مناذر معنا، فقال له ابن مناذر : يا أبا محرز إنْ يكن امرؤ القيس والنابغة وزهير ماتوا، فهذه أشعارهم مخلدة، فقس شعري إلى شعرهم، قال : فأخذ صفحة مملوءة مرقًا فرمى بها عليه. وهذا يعني أنَّ خلف الأحمر لا يقبل بالموازنة بين الغث والسمين، إذ لم يكن ابن مناذر في مستوى شاعريته يستحق المقارنة بفحول الشعر العربي، من أمثال أمرئ القيس والنابغة وزهير، فكانت مكافأته تلك الصفعة بصحن المرق، لأنَّهُ تجاوز شاعريته إلى الحدِّ الذي يجب أنْ يوقف عنده، وتعلق الدكتورة سنية الجبوري على حادثة ابن مناذر هذه في قولها[2]: لم يكن خلف الأحمر اقل تعنتًا وإصرارًا من معاصريه على رفض الشعر المحدث وكان لا يُقرُ فكرة الموازنة بينه وبين القديم.

(١) النقد عند اللغويين في القرن الثاني : ٧٠

(٢) الموشح : ٤٥٠ – ٤٥١

ب – وفي خبر آخر يحدثنا المرزباني قائلًا[1]: حدثنا محمد بن العباس، قال حدثنا الحسين بن علي المهري، قال حدثنا أبو عثمان المازني عن الأصمعي قال : جاء رجل إلى خلف الأحمر فقال : إنّي قد قلتُ شعراً أحببت أنْ أعرضه عليك لتصدقني عنه، قال : هات، فأنشده:

قدَ النوى حتى إذا انتبه النوى بعثَ النوى بالبينِ والترحالِ

ما للنوى جد النوى قطعَ النوى بالوصلِ بينَ ميامنٍ وشمالِ

فقال له خلف : دع قولي، واحذر الشاة، فوالله لئن ظفرت بهذا البيت لتجعله بعراً ! على أنَّني ما ظننتُ بك هذا كله !.

خلف الأحمر قبل هذه الحادثة، كان يُوَقِرُ الرجل ويحترمه، لكونه من الرجال المواظبين على حضور المجالس الأدبية والنقدية، فلما أفصح عن نفسه بهذا الشعر الهابط، كشف عن مستوى علميته، وضعف ملكته في نظم الشعر، فكانت الإجابة كما قرأت، لذلك كان خلف الأحمر لا يقبل الشعر الرديء، ولا يتورع في أنْ يسمع صاحبه من قوارص القول والأحكام.

ت – قال المرزباني[2]: حدثني العنزي، قال حدثني عمر بن شبة، قال أنشد أبو عبيدة خلف الأحمر شعرًا له، فقال له خلف الأحمر : يا أبا عبيدة : خبأ هذا كما تخبأ السنور خراها!، والخبر عن مستوى ذلك الشعر لا يحتاج إلى تعليق فخلف الأحمر لا يقبل أنْ يسمع الشعر الهابط من كائن من يكون، من غير أنْ يسمع صاحبه من قوارص القول شيئًا.

---

(١) الموشح : ٤٥٢

(٢) الموشح : ١٦٥ – ١٦٦

ث – كان خلف الأحمر من رواة الشعر المصلحين، فإذا سمع شعرًا جيدًا فيه خللًا أصلح ذلك الخلل وزينه، فقد قال الأصمعي[1]: قرأت على خلف الأحمر شعرًا لجرير فلما بلغت قوله:

ويوم كإبهـــامِ القطاة محبّـــب إليّ هـــواهُ غالبٌ لي باطلُـــه

رُزقنا به الصّيد الغرير ولم نكن من نبـــلهُ محرومةً وحبائله

فيا لك يومـــاً خيرهُ قبلَ شـــرهِ تغيبَ واشيهِ وأقصرَ عاذلُه

فقال خلف : ويله وما ينفعه خيرٌ يؤول إلى شر ؟ فقال الأصمعي له : هكذا قرأته على أبي عمرو، فقال : صدقت وكذا قال جرير، وكان قليل التنقيح مشرد الألفاظ، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع، فقال الأصمعي : فكيف يجب أنْ يقول ؟ فقال : الأجود له لو قال :

فيا لكَ يوماً خيرهُ دونَ شرهِ تغيبَ واشيهِ وأقصرَ عاذلُهْ

فأروهِ هكذا، فقال الأصمعي : والله لا أرويه بعد هذا إلا هكذا). والبيت في ديوان جرير كما رواه الأصمعي عن خلف الأحمر، وهذا يؤكد أنّ خلف الأحمر كان من الرواة المصلحين الذين يقومُونَ ما أعوجَ لفظه وانحرف معناه، وقد أقسم الأصمعي ألا يرويه إلا كما أصلحه شيخه خلف الأحمر.

ج - يحكى عن خلف أنَّهُ قال[1]: (أخذتُ على المفضل الضبّي في مجلسٍ واحدٍ ثلاث سقطات هي:

(١) المعمرون والوصايا : د

١- أنشد لأمرئ القيس :

نمسُ بأعرافِ الجيادِ أكفُنا إذا نحنُ قمنا عن شواءٍ مضهبِ

فقلت عافاك الله ! إنَّما هو نمشُ، أي نمسحُ. وفعلًا المشُ هو المسحُ بخشونة، وذلك بقرينة أكفنا.

٢- وأنشد للمخبل السعدي :

وإذا ألمَ خيالهُا طرقتْ عيني حماءُ جفونها سجمُ

فقلت عافاك الله ! إنَّما هو طرفتْ ؛ والصواب كما قال خلف فالعين تطرف عندما يزورها طيف المحبوب، ولا تطرق لأن الطرق يعني الموت، وقرينة صحة رواية خلف هو الخيال الذي من أجله طرفت عين الشاعر.

٣- وأنشد للأعشى :

ساعةَ أكبرَ النهارُ كما شـ.....دَّ محيلٌ لبونهُ إعتاما

فقلت عافاك الله ! إنما هو مخيلٌ (بالخاء المعجمة) رأى خالَ السحابة فأشفق منها على بهمة فشدها.) والصواب ما قال به خلف.

---

(١) - ديوان شعر عدي بن الرقاع العاملي : ٦٢

حـ- قال الأصمعي : أنشدني المفضل[1] :

(أ صاحِ ترى البرقَ لم يغتمضْ يموتُ فُواقا ويَسْري فُواقا

قال : فقال خلف الأحمر : صحف، إنما هو : ويَشْري فُواقاً) ويشري : يملئ.

خـ- قال الأعشى :

تروحُ على آلِ المحلقِ جفنةٌ كجابيةِ شيخِ العراقِ تفهقُ

(كان أبو محرز يرويه كجابية السيحِ ويقول الشيخ تصحيف، والسيح الماء يسيحُ على وجه الأرض)[2] والعراق معروف بين بلدان المنطقة أنَّهُ بلدٌ زراعي يُسقى سيحًا، وما قال به خلف صحيح جدًا ويتطابق مع واقع حال العراق في الزراعة.

د - كان عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب يضع الشعر وأحاديث السمر وكلامًا ينسبه إلى العرب، فسقط وذهب علمه وخُفيتْ روايته، فقال الأصمعي : سمعت خلف الأحمر منتقدًا رواية ابن دأب هذا بقوله[3] : (لقد طمع ابن دأب بالخلافة حين يُجَوِزُ مثل هذا عنه)، أراد خلف الأحمر أنَّ ابن دأب كان يستعجل الشهرة بتسلق عبر طريق ملتوٍ، فسقط ولم يقبل الناس روايته لأنَّ الكذب والوضع فيها بيينٌ ظاهر.

(١) - المزهر : ٢ / ٣٥٧

(٢) - طبقات النحويين واللغويين : ١٦٣-١٦٤

(٣) - م. ن : ١٦٤

ذ – روى الأصمعي عن خلف الأحمر قائلًا : قال[١] : (قال رجل من أصحاب الحديث من أهل الكوفة : ما أفصل بين أبي ذؤيب وأبي دؤاد وأبي زيد، وكان يُنشد فيقال : لمن ؟ فيقول : لأحد الثلاثة)، فرد عليه خلف الأحمر قائلًا[٢]: (وأنا لا أفصل بين أبي الدرداء وأبي ذر وأبي هريرة)، وكان خلف الأحمر في إجابته متهكمًا من الرجل، فكيف لا يحسن الحفظ وهو يروي الحديث ؟ فالخير له ترك رواية الحديث لأنها رواية لا تصلح لمن لا يفرق بين الصحابة الرواة وغيرهم.

ر – ومن داخل حلقة درس خلف الأحمر روى لنا محمد بن سلّام الجمحي قائلاً[٣]: (سأل كيسان خلف – وكان به صمم – فقال : يا أبا محرز، علقمة بن عبدة جاهلي أو من بني ضبّة ؟ فقال : يا مجنون صحح المسألة، يصحح لك الجواب.

ز – قال الأصمعي قال خلف الأحمر[٤]: (إذا كان الحديث موضوعًا، كان على ما يشتهي الناس، فإذا كان صحيحًا كان على ما يشتهون وعلى ما يكرهون)، نعم الحديث الموضوع والمفترى يصب في معتقد وميول فئة معينة، وهي التي افترت الحديث ووضعته، وأراد خلف بالناس أصحاب الدنيا المتخذين من الدين غطاءً، وأما ما أراده بالشطر الثاني من كلامه (على ما يشتهون وعلى ما يكرهون) أراد أنَّ! الأمور كافة فيها أمر بالمعروف ونهي عن المنكر.

---

(١) - م. ن : ١٦٤

(٢) طبقات النحويين واللغويين : ١٦٤

(٣) م. ن : ١٦٤

(٤) طبقات النحويين واللغويين : ١٦٤

الفصل الثاني

خلف الأحمر بين يدي القضاء الأدبي

المبحث الأول : خصومه

أ- الفئة المتشددة

ب- الفئة الأقل تشدداً

المبحث الثاني : أنصاره ومؤيدوه

أ- الفئة الأكثر توثيقاً لمروياته

ب- العلماء الذين يوثقون مروياته

المبحث الثالث : الرواةُ المعتدلون

قبل البدء بتفاصيل وقوف خلف الأحمر أمام منصة القضاء الأدبي، لابد من معرفة خصومه الذين رموه بالنحل والانتحال والوضع وضعّفوا روايته وكذبوها، وكذلك معرفة مؤيديه وموثقي روايته ؟

يمكننا تقسيم خصوم خلف الأحمر على فئتين، الأولى وهم المتشددون والأكثر اتهامًا وتجريحًا وهم : أبو حاتم السجستاني، وأبو الطيب اللغوي، وأبو علي القالي، وابن النديم، ومن المحدثين د. طه حسين، والثانية وهم أخفُ وطأةً من الأولى وقد انحصرت أقوالهم في صحة نسبة اللامية (إنّ بالشعب) وسنورد أسماؤهم عند الحديث عن القصيدة ولعلَّ أبا حاتم السجستاني كان أبرزهم من خلال الاتهامات والتجريحات، أما أنصاره وموثقو مروياته، فهم أيضا فئتان، الأولى وهم الأكثر توثيقًا لمروياته وهم (الأصمعي، وابن هشام، وابن سلّام) والثانية وهم (أبو نؤاس، وأبو عبيدة، وأبو زيد الأنصاري، والرياشي، وسلمة ابن عاصم، وكيسان)، وهناك فئة أخرى معتدلة بين الاثنين وهي تتكون من (الجاحظ ، وابن المعتز) وسوف نناقش نصوص كل فئة بعد أنْ نورد ما قاله ذلك العالم.

المبحث الأول : خصومه

الفئة المتشددة :

١- أبو حاتم السجستاني (ت٢٥٥هـ)

هو سهلُ بن محمد بن عثمان بن يزيد الجشيمي بن القاسم البصري، قال أبو الطيب اللغوي: (كان أبو حاتم في نهاية الثقة والأتقان والنهوض بلغة القرآن، مع علمٍ واسعٍ بالإعراب أيضًا أخذ ذلك عن الأخفش[١]، وقد شن هجومًا عنيفًا على خلف الأحمر فكذّب مروياته، وشكك في صحة أقواله وأخباره وله في خلف الأحمر أقوال ذكرتها المصادر وهي كما يأتي :

أ- قال أبو حاتم : قال الأصمعي[٢]: (كان أعلم الناس بالشعر، وكان شاعرًا ، ووضع على شعراء عبدالقيس شعرًا موضوعًا كثيرًا وعلى غيرهم عبثًا بهم، فأخذ ذلك عنه أهل البصرة وأهل الكوفة).

أبو حاتم في هذا النص يتهمُ خلف الأحمر بالوضع صراحة، وأبو حاتم بصري، وتلميذ الأصمعي، وإذا وقفنا على قول ابن سلّام[٣]: (أجمع أصحابنا أنَّهُ كان أفرس الناس ببيت شعرٍ وأصدقهم لسانًا، كنا لا نبالي إذا أخذنا عنه خبرًا أو أنشدنا شعرًا أنْ لا نسمعهُ من صاحبه)، رواية ابن سلّام تؤكد بما لا يقبل الشك، أنَّ علماء مدرسة البصرة ورواتها لم يشككوا في صحة مرويات خلف الأحمر، لأنَّهُ وكما يقول

(١) - مراتب النحويين : ١٢١

(٢) - مراتب النحويين : ٩٥

(٣) - المزهر : ٢ / ٣٧١ – ٣٧٢

ابن سلام : صادق اللسان ثقة، والحكم يؤكد أنَّ الجماعة أو المجموع أوثق وأصدق من الفرد، فضلًا عن أنَّ شيخ أبي حاتم الأصمعي يوثق روايات خلف الأحمر ولم يطعن بها، فضلًا عن أنَّ الأصمعي أوثق من أبي حاتم، وبموجب ما تقدم تكون رواية أبي حاتم من وجهة نظر قانونية باطلة، أما مسألة وجود أسم العالم الراوية الأصمعي في هذه الرواية وغيرها من روايات أبي حاتم، فقد أتخذهُ غطاءً لجميع ما يروي ليعطي رواياته قوة ومتانة، ولكن الواقع يرفض ذلك بشدة، إذ إنَّ الأصمعي يؤكد صحة مرويات خلف الأحمر ويوثقها، فقد ذلك عيسى بن إسماعيل حينما قال [١]: (سمعتُ الأصمعي ذكرَ خلفَ الأحمر، أبا محرز فقال : ذهبت بشاشة الشعر بعد خلف الأحمر، فقيل له : كيف وأنت حي ؟ فقال: أنَّ خلف كان يحسن جميعهُ وما أحسن منه إلا الحواشي)، فيما أكد أبو عبيدة أنَّ خلف الأحمر هو معلم الأصمعي، بل هو معلم أهل البصرة [٢]، والأصمعي رجل مؤمن صالح يمتلك من الوفاء لمعلمه الكثير، وليس من شأنهِ أنْ يقدح في من علمه، وبالمحصلة النهائية تكون رواية أبي حاتم للحسد والتجريح ليس إلا، وهدفها الأول البغض والكراهية، لاسيما أنَّ الرجلين يختلفان عرقيًا وعقائديًا وسياسيًا.

ب- نقل أبو حاتم السجستاني عن الأصمعي قوله[٣]: (إنَّ رواة الكوفة أنشدوه أربعين قصيدةً لأبي دؤاد قالها خلف الأحمر)، أبو دؤاد الأيادي شاعر جاهلي قديم [٤].وقد أتت السنون على شعره فضاع معظمه، فلم يبق منه إلا النزر اليسير، لذا كان

(١) طبقات فحول الشعراء : ٢٣/١

(٢) طبقات النحويين واللغويين : ١٦٤

(٣) نزهة الالباء : ٧٠، طبقات الشعراء : ١٤٨

(٤) الموشح : ٣٩٢

تحصيل شعر أبي دؤاد متعذرًا على الرواة، فلم تسنح لهم فرصة روايته، والراجح عندي أنَّ خلف الأحمر رواه عن حمّاد الراوية عندما زارهُ في الكوفة، وذلك أنَّ حمّاد الراوية حصل على مدونات وكتب ضمتْ بين دفتيها الأشعار التي حرص ملوك الحيرة على حفظها وتدوينها، فقد قال حمّاد الراوية[١]:(أمر النعمان فنسخت له أشعار العرب في طنوج ثم دفنها في قصره الأبيض، ولما كان المختار ابن أبي عبيد الثقفي، قيل له : إنَّ تحت القصر كنزًا فأحتفره فأخرج تلك الأشعار) وقد أيد تلك الرواية ابن سلام الجمحي[٢]علمًا أنَّ أبا دؤاد كان على خيل المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة، وأنَّ أبا دؤاد كان أنعت الشعراء للخيل[٣] كما أرجح أنَّ قول الأصمعي إنْ صحت روايته، أراد به أنَّ خلف الأحمر قد رواها.

ت- قال أبو حاتم سمعت الأصمعي يقول[٤]: (سمعت خلف يقول : أنا وضعت على النابغة هذه القصيدة ، التي يقول فيها :

خيلٌ صائمةٌ وخيلٌ غيرَ صائمةٍ تحتَ القتامِ وأخرى تعلكُ اللجمَا

البيت غير موجود في ديوان النابغة الذبياني، ولكن هناك قصيدة في الديوان على البحر والقافية والروي ومطلعها :

بانتْ سعادُ وأمسى حبلها انجذما

واحتلتْ الشرعَ فالأجزاعِ من إضِما

(١) هو جارية بن الحجاج بن حذاق، الأصمعيات : ١٨٥

(٢) الخصائص : ٣٨٨/١

(٣) طبقات فحول الشعراء : ٢٥/١

(٤) الأغاني : ٩١/١٥-٩٢

القصيدة خلتْ من هذا البيت، علمًا أنّ القصيدة قد رواها العالمان : الأعلم الشنتمري، وابن السكيت وشرحها أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسي، ولم يشرْ الراويان ولا الشارح إلى وجود هذا البيت ضمن القصيدة[١]، إلا أنَّ بعض أصحاب المعاجم أشاروا إلى هذا البيت ضمن استشهاداتهم للمفردات، فقد أشار إليه ابن فارس، وابن منظور[٢]، وقد ورد البيت في ديوانه [٣] تحت عنوان (أبيات مفردة يجري بعضها مجرى المثل)، وهذا يؤكد أنَّ البيت موضوع بل الرواية كلها موضوعة، وبالمحصلة النهائية تكون الرواية باطلة.

بعد استقراء ما رواه أبو حاتم السجستاني واستنطاق النصوص وتحليلها ظهر لنا أنَّ الحقد والحسد والبغض والكراهية كانت تأكلُ قلبَ أبي حاتمٍ، فسولتْ له نفسه صنع تلك البدع والأباطيل ليلصقها بخلف الأحمر وهو منها براء.

٢- أبو الطيّب اللغوي (ت٣٥١هـ) :

هو عبد الواحد بن علي المشهور بأبي الطيّب اللغوي، كان ضليعًا باللغة والنحو وقد ألف كتابًا سماهُ مراتب النحويين، جعل فيه النحاة في طبقاتٍ حسب قدمهم ومستواهم العلمي، لذلك قرأ كتب اللغة والنحو والشعر والنقد، فقال عن خلف الأحمر[٤]: (لم أجد أحدًا أعلم بالشعر والشعراء منه) وبما أنَّ أبا الطيّب اللغوي لم يدرك خلف

(١) طبقات النحويين واللغويين : ١٦٣

(٢) ديوانه : ١٠١-١٠٤

(٣) معجم مقاييس اللغة : مادة : صوم، لسان العرب : مادة : صوم

(٤) ديوانه : ١٣٠

الأحمر، ولم يروِ عنه مباشرة، فهو قد سمع أقوال الآخرين في خلف فمن ذلك قوله[١]: (وضع على شعراء عبدالقيس شعرًا موضوعًا كثيرًا وعلى غيرهم)، والخبر هنا مقطوع إذ له تكملة في رواية أبي حاتم السجستاني وهي[٢]: (عبثًا بهم فأخذ ذلك عنه أهل البصرة وأهل الكوفة)، (هذه رواية طبعة دار الكتب المصرية)، وعند تدقيق الخبر وتقليبه، ظهر لنا أنَّ أبا الطيّب أسقط هذه التكملة، لأنَّها تتهم علماء اللغة والنحو والرواية والنقد من أهل البصرة والكوفة وتقول لهم : إنَّ مروياتكم غير صحيحة وغير موثقة، ولا يمكن قبولها والأخذ بها ، وهذا ما لا يمكن حدوثه فعمد إلى إسقاط تلك الزيادة ليسد تلك الثغرة، وهذا يؤكد أنَّ الرواية موضوعة فلو كانت صحيحة لماذا لم يروها أبو الطيّب كاملة، ثم يعود أبو الطيّب اللغوي ليروي خبرًا عن حمّاد الراوية مفاده[٣]، (أنَّهُ كان أوسع الكوفيين روايةً وقد أخذ عنه أهل المصرين، وخلف الأحمر خاصة) هذا الخبر يدحض وبشكل قاطع الرواية السابقة، وفي الوقت نفسه يوثق رواية خلف الأحمر، ما دام أهل المصرين (البصرة والكوفة) لا سيما خلف الأحمر قد رووا مروياتهم عن حمّاد الراوية، فأنَّ هذا التناقض يضعف حجة أبي الطيّب ويدحضها، أما رواية المكتبة العصرية فقد جعلت النصين نصًا واحداً.

(١) مراتب النحويين : ٤٧

(٢) المصدر السابق نفسه : ١٦٢

(٣) مراتب النحويين : ٧٥

ويضيف أبو الطيّب اللغوي قائلًا[1]: (إنّ خلف الأحمر لما نسكَ، خرج إلى أهل الكوفة فعرفهم بالأشعار التي أدخلها في أشعار الناس، فقالوا : أنت كنت في ذلك الوقت أوثق منك الساعة، فبقي ذلك في دواوينهم إلى اليوم).

إنّ من يقرأ هذه الرواية يشعر منذ اللحظة الأولى يشعر أنها ضعيفة وموضوعة، ولا سبيل إلى قبولها مهما كانت الذرائع، فالرواية على الرغم من ضعفها وسذاجتها وركاكتها، هي تكذب نفسها وتدحض ما تزعمه، فهل يعقل أنّ رجلًا ناسكًا صالحًا لا يصدقه الناس ويقولون له : إنّك في شبابك يوم كنت تصنع الشعر وتنحله، أوثق منك اليوم، هل انقلبت الموازين عند الناس أم ماذا ؟ فلا يقبل بهذه الرواية حتى الناس البسطاء، فضلًا عن أنّ الخبر يقول خرج إلى أهل الكوفة فهل هو – إنْ كان صحيحًا – لم يضع لأهل البصرة وهو معلمها الأول، فإذا كان يكذب ويضع لأهل الكوفة، فهو غير موثوق بروايته عند غيرهم، فالذي يكذب على غيرك، يكذب عليك، وهذه ليست من أخلاق العلماء، وبالمحصلة النهائية أنّ الأشعار التي يزعمون أنها موضوعة هي موثقة في دواوين الشعراء بمختلف الروايات البصرية والكوفية والبغدادية، وهذا أكبر دليل على صحتها.

وبالمحصلة النهائية أنّ كل ما نقل من رواية عن ابي الطيّب، هو منحولٌ عارٍ من الصحة بدلالة قوله[2]: (لم يزدحم العلم بالشعر في صدر أحد، كما ازدحم في صدر خلف الأحمر).

(١) المصدر نفسه : ٥٩

(٢) مراتب النحويين : ٥٩ - ٦٠

٣- أبو علي القالي (ت٣٥٦ هـ) :

هو أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، كان يتهم خلف الأحمر بالنحل والوضع ليحطَ من شأنه، ويرفع من شأنِ الأصمعي شيخ ابن دريد شيخ أبي علي القالي، وقد أكد القالي ذلك بقوله[١]: (كنت أنا كثير التعطف للأصمعي فكنت أسأل أبا بكر بن دريد كثيراً عن خلف والأصمعي أيهما أعلم ؟ فيقول لي : خلف، فلما أكثرت عليه انتهرني وقال : أين الثماد من البحور)، من يقرأ النص بتمعن وتجرد، يشعر أنّ أبا علي وعلى الرغم من معرفته بأنَّ خلف الأحمر كان أعلم من الأصمعي، إلا أنّه كان يلحُ بإصرار على إعادة السؤال على شيخه أبي بكر بن دريد، لعلهُ يسمع جوابًا مخالفًا للإجابات السابقة، فيثبته ويسقط الإجابات الأخرى، ولما كان ابن دريد يمتلك عقلية علمية فذة، شعر أنَّ القالي يريد تحريف الحقيقة، فزجره وانتهره قائلًا : إنّ علم خلف الأحمر، غزير مثل البحر البعيد القرار، فيما يكون علم الأصمعي ثمادًا، أي ضحلًا قياسًا إلى علم خلف الأحمر، ومن هنا نفهم التحامل الذي يحمله أبو علي القالي على خلف الأحمر ولو على حساب تحريف الحقائق.

قال أبو علي القالي في أماليه[٢]: (كان أبو محرز أعلم الناس بالشعر واللغة وأشعر الناس على مذاهب العرب، حدثني أبو بكر بن دريد أنَّ القصيدة المنسوبة للشنفرى التي أولها:

---

(١) معجم الأدباء : ١٨ / ١٢٨

(٢) أمالي القالي : ١ / ١٥٦ ؛ وطبقات النحويين واللغويين : ١٦٢- ١٦٣

أقيموا بني أمي صدورَ مطيكم

فأني إلى قومٍ سواكم لأميلُ

له وهي من المقدمات في الحسن والفصاحة والطول فكان أقدر الناس على قافية).

أبو علي القالي نفسه يدحض رواية النحل ويؤكد أنَّ اللامية هي للشنفرى روايةً عن شيخهِ ابن دريد، وذلك في كتابه النوادر[1]، الذي كتبهُ بعد كتابة كتاب الأمالي، ومن هنا أقول: إنَّ رأيَ أبا علي القالي المعول عليه هو الأخير، وليس الأول، وأنّي أرجح أنَّ خبر الأمالي موضوعٌ عليه، ذلك لأنَّ الأمالي هو إملاءٌ، ومن كتابة تلامذته، والنوادر كتبهُ بخط يده، وما يؤخذ من الرجل من فمه، وبطريق مباشر أصدق، مما يؤخذ من غيره بطريق غير مباشر، أو لربَّما حدثتْ عند أبي علي القالي صحوة ضمير في أواخر عمره، فصحح ما أملاهُ سابقًا، فأعاد نسبة اللامية للشنفرى، من غير أنْ يقول صنعها خلف الأحمر، والله أعلم.

فمن المعطيات الآنفة تكون اللامية قصيدة صحيحة النسبة للشنفرى، لا يمكن نفيها عنه، والحقيقة الساطعة لا يمكن حجبها بغربال، لذا فإنَّ القصيدة صحيحة النسبة للشنفرى، وهي في ديوانه المحقق الذي صنعه وشرحه ورواه العالم الراوية أبو فَيْد مؤرّج السدوسي (ت١٩٥هـ) وكذلك روى ديوان الشنفرى وصنعه أبو المنهال الذي كان راويةً للأخبار والأنساب، وكذلك رواه النمري أبو محلم الأعرابي، والقصيدة في الديوان المحقق تحت التسلسل السادس، وهي تتكون من سبعين بيتًا [2]، وقد أكد د.علي

(١) نوادر أبي علي القالي: ٢٠٣ - ٢٠٦

(٢) آمالي القالي: ١٥٦/١

ناصر غالب صحة نسبة القصيدة للشنفرى من خلال تحقيقه للديوان[١]فضلًا عما سبق، فقد نسبها العالم اللغوي والنحوي ابن جني إلي الشنفرى في رواية مقروءة على شيخه أبي علي الفارسي[٢]، والرواية المقروءة تعني أنَّ القصيدة اللامية كانت مكتوبة، والرواية المكتوبة أوثق من الرواية الشفوية، وكذلك نسبها ابن الشجري للشنفرى[٣]، أما ابن منظور فقد استشهد بعدد من أبيات القصيدة، فقد ذكر البيت الخامس من القصيدة بقوله[٤]: (وأنشدني ابن بري للشنفرى) كما ذكر البيت السابع عشر بقوله[٥]: (قال الشنفرى) ثم ذكر البيت الثاني والثلاثين معزوا للشنفرى[٦]، وبهذا تكون التهمة موضوعة ولا أساس لها من الصحة.

أما قول أبي علي القالي[٧]: (إنّ خلف الأحمر كان يقول القصائد الغر ويدخلها في دواوين الشعراء) فهذا قولٌ يدحضه ما جاء في الفقرة السابقة من الحديث عن أبي علي القالي، وأما إقحام اسم ابن دريد في روايات القالي فالهدف منه مثل هدف أبي حاتم السجستاني حينما أقحم الأصمعي في رواياته، وبذلك تكون كل الاتهامات المنسوبة للقالي مردودة، وغير مقبولة بموجب ما سبق من الأدلة.

---

(١) ديوان الشنفرى، صنعه وشرحه ورواه أبو فيد مؤرج ابن عمرو السدوسي

(٢) ديوانه : ٣١-٣٣

(٣) سر صناعة الأعراب : ٤٦/١، المنصف : ١٥/٣

(٤) مختارات شعراء العرب : ٧٢-١٠٦

(٥) لسان العرب : مادة : عرف

(٦) المصدر السابق : مادة : كها

(٧) المصدر السابق : مادة : حبض

٤- ابن النديم (ت٣٨٠هـ) :

هو أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق صاحب كتاب الفهرست فقد ذكر[١]: (إنّ أبا زيد الأنصاري قال: أتيت إلى بغداد حين أقام المهدي محمد فوافاها العلماء من كل بلدة بأنواع العلوم فلم أرَ رجلاً أفرس ببيتِ شعرٍ من خلف) قول جميل يؤكد علمية خلف الأحمر في رواية الشعر وأنه أعلى الرواة درجة، ولكنه ما يلبث حتى نسف ما قاله من خلال روايته[٢]، (أنَّهُ كان يقول الشعر فينحله الفحول الجاهليين فيخفى ذلك له) ثم يضيف[٣]، (إنَّهُ يعمل الشعر على لسان العرب وينحله إياهم) عندما نتأمل الخبرين جيدًا، لنتأكد من صحتهما، نقف مذهولين أمام هؤلاء الناس الذين يرمون الناس بالكذب والوضع والنحل زورًا وبهتانًا، أليس قبل خلف الأحمر رواة للشعر كانوا ينقلون الشعر من جيل إلى جيل، وهم من الثقات من أمثال أبي عمرو بن العلاء، والمفضل الضبّي، وخالد بن كلثوم، وأبي عمرو الشيباني، وأبي عبيدة، وأبي زيد الأنصاري، والأصمعي، وابن سلّام وغيرهم، أو ليسَ هناك رواة القبائل ينقلون ويروون أشعار قبائلهم، فهل هؤلاء الرواة جميعًا كانوا مغفلين، حتى يأتي خلف الأحمر فيعبث برواياتهم، ويدخل فيها ما يشاء من الشعر الموضوع، وهم لا يحركون ساكنًا، علمًا أنّ الرواة لاسيما الرواة العلماء، كانوا يخرجون إلى البوادي ليأخذوا الشعر من أفواه الأعراب وأبناء الشعراء وأحفادهم، وليوثقوه ومن ثم يكتبوه، وهم لا يعتمدون على الأشعار المكتوبة، ولا يعتدوا بشعر ولا رواية ما لم يسمعوها من الأعراب أو من العلماء

(١) طبقات النحويين واللغويين : ١٦٢

(٢) الفهرست : ٨١

(٣) المصدر السابق : ٥٠

الثقات بشكل مباشر، فكيف إذن تسللَ خلف الأحمر إلى مروياتهم ودسَّ فيها ما دسَّ، وما قاله ابن النديم لا يمكن قبوله بأيَّ حال من الأحوال، وهو موضوعٌ ورائحة كذبه مفضوحة.

٥- د. طه حسين وهو من العلماء والنقاد المحدثين :

يُعد د. طه حسين من كبار المناهضين للتراث العربي الجاهلي، ذلك لأنَّه يمثل امتدادًا لسلفه المستشرق الأنجليزي مارجليوث السيئ الصيت، وقد سبق للدكتور طه أنْ رفض الشعر الجاهلي جملةً وتفصيلًا بحجج واهية لم تصمد أمام الحقيقة، ثم عاد ليوظف الخصومات والتجريحات التي كان الرواة يتراشقون بها فيما بينهم ليحكم زورًا وبهتانًا وافتراءً على رؤوس الرواية العربية ليشوه سمعتهم ويزعزع ثقة الدارس العربي بهم، وعبر ذلك يجعله يرفض مروياتهم، ولنقف على ما جاء في كتابه (في الأدب الجاهلي) قال الدكتور طه حسين[١]: (إذا فسدت مروءة الرواة، كما فسدت مروءة حمّاد، وخلف، وأبي عمرو الشيباني، وإذا أحاطت بهم ظروف تحملهم على الكذب، ككسب المال، والتقرب إلى الأشراف والأمراء، والظهور على الخصوم المنافسين، ونكاية العرب).

ما قال به الدكتور طه حسين مرفوض جملةً وتفصيلًا، فقد فنده شيخ الرواة وأحد القراء السبعة أبو عمرو بن العلاء قبل الف وثلاثمئة سنة، وذلك عبر احتضانه لخلف الأحمر، كما مرَّ آنفًا في هذا الكتاب، فضلًا عن تزكيتهِ لحمّاد الراوية وتأكيد صحة مروياته عبر شهادته[٢]: (قال أبو عمرو الشيباني : ما سألتُ أبا عمرو بن العلاء قط عن حمّاد إلا قدمه على نفسه)، وعودة لما قاله الدكتور طه حسين : التقرب إلى الأشراف

(١) في الأدب الجاهلي : ١٧١

(٢) - مراتب النحويين : ٧٢

والأمراء، لا يوجد خبر واحد يقول : إنَّ خلف الأحمر أو أبو عمرو الشيباني حضرا مجالس الخلفاء والأمراء والأشراف، فمن أين جاء الدكتور بهذه الفرية الساذجة، أما مسألة الظهور على الخصوم المنافسين، فهي الأخرى حجة داحضة، إذا كانوا هم أكبر من ذلك، وكتب طبقات النحويين واللغويين وضعتهم في مقدمة المراتب العليا، وهم يستحقونها من غير الحاجة إلى الكذب والتزلف كما يدعي الدكتور، وأما نكاية العرب، فهذه بدعة يعرفها القاصي والداني، فهؤلاء الرواة هم الذين حفظوا التراث العربي، وليس الدكتور طه حسين، ومن يطلع على الدواوين المحققة سيجد آراء هؤلاء الرواة مبثوثة فيها، فإذا كانوا كما يقول الدكتور طه حسين، فلِمَ لم يسقطونها من مروياتهم، فهل كانوا مغفلين لا يعرفون الغثَّ من الصحيح، بانتظار أنْ يأتي الدكتور طه ليطهر الأدب العربي من المنحول والموضوع، وهم العلماء الأعلام، بالتأكيد أنَّ هؤلاء الرواة يعرفون حقَّ المعرفة أنّ مروياتهم صحيحة لا تشوبها شائبة، وأنّ هدف الدكتور طه كان يصبُ في خدمة الشعوبيين والمستشرقين، وقد علق الدكتور رزوق فرج رزوق (رحمه الله) على ذلك في معرض رده على ما قاله الدكتور طه حسين، ودفاعه عن أبي عمرو الشيباني[1]: (إذا فسدت مروءة هؤلاء الرواة وأحاطت بهم مثل هذه الظروف، كان الحقُّ علينا ألا نقبل ما ينقلون إلينا من شعر القدماء... ففيها اتهام...، لا أراهُ مستندًا إلى دليل أو قائمًا على حجة) وبما أنّ معظم الشعر وصلنا عن طريقهم فحري بنا أنْ نرمي ما قاله الدكتور طه حسين في سلة المهملات وراء ظهورنا كأنَّا لم نسمع به أو نقرأه.

(١) - أبو عمرو الشيباني : ١٣ - ١٤

ب- الفئة الأقل تشددًا :

١) أبو علي الحاتمي (ت٣٨٨هـ) هو أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي صاحب كتاب حُلية المحاضرة في صناعة الشعر، فقد ذكر[١]: (إنَّ خلف الأحمر سمع امرأةً أعرابيةً من بني القين ترثي أخاها، فنظم قصيدة ونحلها إياها)، هذا الخبر بغير سند وغير موثق، ولم يذكره العلماء الرواة الذين سبقوا الحاتمي ولم تشر إليه المصادر كافة ، فكيف وصل إليه... إنَّهُ مجرد اتهام وتجريح... ثم عاد أبو حاتم لينقل لنا خبرًا عن نفطويه أنَّهُ سمع المبرد يقول[٢]: (كان خلف الأحمر عجيب الذهن حسن التصرف بأساليب الشعر وكان مع اقتداره واتساعه يعد مقلًا لما كان ينحلهُ الشعراء المتقدمين كأبي دؤاد، والشنفرى، وتأبط شرا، ومن لا شهرة له) نجد هنا أبا علي الحاتمي يحاول تمرير التهمة عبر إسنادها إلى نفطويه عن المبرد ليعطي التهمة قوةً وثقلًا، وفي واقع الحال جعلها عائمةً لا ترسو إلا على باطل، وذلك من خلال كونه (الحاتمي) متهمًا بالكذب والتزوير على المتنبي، هذا من جانب ومن جانب آخر إنَّ شعر خلف الأحمر وشعر العلماء كافة لا يرقى إلى مستوى عالٍ، فكيف يكون بمستوى الفحول، علمًا بأنّ الأصمعي روى شعر الصعاليك : الشنفرى وتأبط شرا وغيرهما عن خلف الأحمر، كما روى عنه شعر أبي دؤاد الذي رواه خلف الأحمر عن حمّاد الراوية، لأنَّ مدرسة الكوفة كانت أكثر إحاطة برواية الشعر من مدرسة البصرة، فقد قال حمّاد الراوية[٣]: (أمر النعمان فنسخت له أشعار العرب...) وأبو

(١) الفهرست : ٥٥

(٢) حلية المحاضرة : ٢/ ٣٧

(٣) المصدر السابق نفسه : ٣١/٢

دؤاد الأيادي كان منقطعاً إلى المناذرة إذ كان على خيل المنذر بن النعمان (ابن ماء السماء) ملك الحيرة [١]، ولعلَّ شعر أبي دؤاد كان في تلك الطنوج فرواه حمّاد الراوية، وعنه رواه خلف الأحمر وهذا ما أرجحه، لذا فأخبار أبي علي الحاتمي لم تكن ذات سندٍ فضلًا عن كونه متهمًا بالكذب على أبي الطيب المتنبي[٢]، وروايته لا يعتدُ بها ومن هنا فهي باطلة.

أما القصيدة المشهورة ذات المطلع:

إنّ بالشعبِ الذي دونَ سلعٍ لقتيلًا دمهُ ما يُطـلُّ

التي أدعى أبو حاتم أنّ خلف الأحمر قالها ونحلها ابن أخت تأبط شرا[٣]، فقد شكك في صحة نسبة القصيدة عدد من الرواة والنقاد، وفيما يأتي ثبت بالمصادر القديمة والمراجع الحديثة التي ذكرت القصيدة ليقف القارئ الكريم عليها بنفسه ويقرر ما يراه هو وفي نهاية الثبت سأذكر رأيي في ذلك إنْ شاء الله، والمصادر والمراجع هي كما يأتي :

- في الشعر والشعراء ، لخلف الأحمر نحلها ابن أخت تأبط شرا، ص : ٧٩٠

- في طبقات الشعراء ، قال دعبل الخزاعي : قال لي خلف الأحمر : أنا والله قلتها، ولم يقلها تأبط شرا، ص : ١٤٧

(١) الخصائص : ٣٨٨/١، طبقات فحول الشعراء : ٢٥/١

(٢) - الأغاني : ٩١/١٥-٩٢

(٣) - ينظر الرسالة الحاتمية، الموضحة في مساوئ المتنبي، وقد ذكرها ياقوت الحموي في معجم الأدباء : ١٥٦/١٨

- في ديوان الحماسة قال أبو تمام أنها لابن أخت تأبط شرا وقيل أنَّها لخلف الأحمر، ص ٢٣٢

- في معجم الأدباء : قال الحاتمي قالها خلف الأحمر ونحلها ابن أخت تأبط شرا : ١٥٦/١٨

- في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي قال تأبط شرا وقيل لخلف الأحمر، ص : ٨٢٧

- في شرح ديوان الحماسة للتبريزي قال تأبط شرا والصحيح خلف الأحمر، ص : ٣٤١

- في أنباه الرواة لخلف الأحمر نحلها تأبط شرا، ص : ١/ ٣٤٩

- في مجمع الأمثال لابن أخت تأبط شرا ، ص : ١/ ٣١٩

- في معجم الصحاح لتأبط شرا، مادة : سلع

- في الحيوان (للجاحظ) لتأبط شرا إنْ قالها : ص ٣/ ٦٩

- في لسان العرب لتأبط شرا رواية عن ابن بري. مادة: سلع

- في تاج العروس لابن أخت تأبط شرا أو تأبط شرا ، وقال المبرد هي لخلف، مادة : سلع

- في الطرائف الأدبية للشنفرى أو تأبط شرا أو الهجال ابن أخت تأبط شرا، ص : ٣٩

- في العقد الفريد لخلف الأحمر نحلها ابن أخت تأبط شرا، ص : ٥/ ٢٨٠

- في حماسة شعر المحدثين للخالديين للشنفرى، ص : ٢/ ٢٨٦

- في أمالي الشريف المرتضى للشنفرى، ص: ٢/ ١٨٥

آراء المحدثين:

- د. ناصر الدين الأسد رجحَ أنَّها للشنفرى، وليست منحولة وذلك من خلال دراستهِ لمختلف الروايات، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية: ٤٥٨- ٤٦١
- د. يوسف خليف قال: ليست لأحد من الشعراء الصعاليك عبر دراسته للشعراء الصعاليك، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي : ١٧٤- ١٧٧
- د. علي ناصر غالب رجح أنَّها للشنفرى وذلك عبر تحقيق ديوانه، ديوان الشنفرى : ٣٠
- وفي المحصلة النهائية وبعد استعراض الآراء المختلفة القديمة منها والحديثة، بشأن هذه القصيدة واستقراء آراء الأساتذة المختصين، أقول أنا الدكتور عبداللطيف حمودي الطائي: إنّ القصيدة لم يصنعها خلف الأحمر، وهي ليست لتأبط شرا أو غيره بل هي من إبداع الشنفرى، وأما قصيدة خلف الأحمر فهي مدونة في حماسة شعر المحدثين للخالديين: ٢/ ٢٨٧ – ٢٩٠ كما رواها العتبي، والقصيدة كاملة في الفصل الخامس من هذا الكتاب.

رأي المستشرق الألماني نولدكة :

قال المستشرق الألماني نولدكة[١]: (إنَّ خلف الأحمر وضع في شعر النّابغة الذبياني :

ولا أرى فاعلًا في النّاسِ يُشبهُهُ إلا سليمان إذ قال ألاله لهُ

وعلق على الخبر قائلًا : إنَّها من صنع المتأخرين.

لدي ثلاث طبعات من ديوان النابغة الذبياني هي :

(١)المستشرقون والشعر الجاهلي : ١٨

١- محققة على مخطوطتين هي :

أ- رواية الأصمعي من نسخة الأعلم الشنتمري.

في نسخة الأعلم قصائد لم يروها الأصمعي.

ب- رواية ابن السكيت وفيها زيادة على رواية الأعلم الشنتمري.

في الروايات الثلاث لم أجد هذا البيت مطلقًا، وقد حقق هذا الديوان المحقق الثبت الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، وطبعته ونشرته دار المعارف المصرية في أربع طبعات آخرها سنة ٢٠١٧م.

٢- طبعة الديوان الثانية كانت بشرح وتقديم الأستاذ عباس عبد الساتر، والديوان طبعته دار الكتب العلمية في بيروت سنة ٢٠٠٤م، ولم أجد فيها هذ البيت.

٣- طبعة المكتبة الثقافية في بيروت، وهي طبعة تجارية لم تشر الى من حققها أو من جمع شعرها، ولا الى سنة الطبع، ومع ذلك لم أجد فيها هذا البيت.

هذه الدواوين الثلاثة لم تذكر هذا البيت ولم تروه، واستدرك نولدكة على نفسه فقال : إنَّها من صنع المتأخرين، وبذلك نفى أن يكون خلف الأحمر رواها أو قالها، ونحلها النَّابغة الذبياني.

البيت الذي استشهد به نولدكة هو بيت ملفق وغير صحيح ورواية الديون تروي البيت على أنَّهُما صدران لبيتين، والرواية الصحيحة هي[١] :

ولا أرى فاعلًا في الناس يُشبهُهُ ولا أحاشي من الأقوامِ من أحدِ

إلا سليمان إذْ قال الإلهُ لـــهُ قُمْ في البريَّةِ فأحدُدْها عن الفندِ

ورواية الديوان تفسدُ ما قاله المستشرق نولدكة وتبطله.

(١) - ديوانه : ٢٠

المبحث الثاني: أنصاره ومؤيدوه :

أ- مؤيدوه الأكثر توثيقاً لمروياته :

١- الأصمعي (ت٢١٦هـ) هو أبو سعيد عبد الملك بن قُريب الأصمعي من رواة مدرسة البصرة الثقات، كان تلميذًا وفيًا لشيخه خلف الأحمر فقد ذكره قائلًا[١]: (ذهبت بشاشة الشعر بعد خلف الأحمر، فقيل له : كيف وأنت حي ؟ فقال : إنّ خلفَ كان يحسن جميعه وما أحسن منه إلا الحواشي) هذا تواضعٌ جمٌ من عالم راوية ثقة، فهو لا يقدم نفسه على شيخه على الرغم من غزارة علمه ورقي مكانته الأدبية واللغوية والنقدية، وفي الوقت نفسه يؤكد أنّ خلف كان يحفظ الكثير من الشعر قياسًا لما يحفظه الأصمعي، فقد جعل الأصمعي ما يحفظ لا يساوي شيئًا أمام ما يحفظ شيخه خلف، وهو كالحاشية بالنسبة للمتن – فلله درك يا أصمعي – وقد أكد كثرة محفوظات شيخه خلف للشعر، كما أكد ذلك أبو نؤاس في مرثيته لخلف وهو حيٌّ[٢]:

أودى جماع العلم مذ أودى خلـفْ
من لا يعـــد العلم إلا ما عـرفْ
قليذمٌ من العيالمِ الخســـفْ[٣]
كنـــا إذا ما نـــش منه نغتـرفْ
روايــة لا تجُـــتنى من الصحـفْ

(١) حُلية المحاضرة : ٢/٣٧-٣٨

(٢) ديوانه : ٩٦٣

(٣) القليذم : بفتح القاف واللام ثم ياء ساكنة، هي البئر الغزيرة الكثيرة الماء، العيالم : جمع عيلم وهي البئر كثيرة الماء، الخُسُف : بضمتين جمع خسيف وخسوف هي البئر التي لم ينقطع ماؤها لكثرته.

نقل الأصمعي عن خلف قوله[1]: (لقد أعياني شعر الأغلب، وذلك لأنّهُ، من ولده إنسان يصدق في الحديث والروايات ويكذب عليه في شعره)، وهذا يؤكد أنّ خلف الأحمر كان يدقق في صحة الشعر وروايته، ولا يقبل الشعر المصنوع، أو الذي يشك في صحته، لذا فهو يتحرج من رواية شعر الأغلب العجلي، حرصًا منه على عدم اختلاط الشعر المصنوع بالشعر الصحيح النسبة، وقد أكد ذلك الأصمعي نفسه حينما قال لأبي حاتم السجستاني[2]: (أنّه لا يعرف لهذا الشاعر إلا اثنتين ونصف).

قال الأصمعي[3]: قرأت على خلف الأحمر شعر جرير فلما بلغت قوله :

ويوم كإبهام القطاة محبّـــب إليّ هواهُ غالبٌ لي باطلُـه
رُزقنا به الصّيد الغرير ولم نكن كمن نبلهُ محرومةٌ وحبائلُـه
فيا لك يوماً خيرهُ قبلَ شـــرِهِ تغيبَ واشـيهِ وأقصرَ عاذلُـه

فقال خلف: ويله وما ينفعه خير يؤول إلى شر ؟ فقال الأصمعي له: هكذا قرأته على أبي عمرو، فقال : صدقت وكذا قال جرير، وكان قليل التنقيح مشرد الألفاظ، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع، فقال الأصمعي : فكيف يجب أنْ يقول ؟ فقال : الأجود له لو قال:

(١) الموشح : ٢٧٣
(٢) الموشح : ٢٧٣
(٣) المصدر السابق نفسه : ١٦٥ - ١٦٦

فيا لكَ يوماً خيرهُ دونَ شرهِ تغيبَ واشيهِ وأقصرَ عاذلُهْ

فأروهِ هكذا، فقال الأصمعي : والله لا أرويه بعد هذا إلا هكذا) والبيت في ديوان جرير كما رواه الأصمعي عن خلف الأحمر[١]، وهذا يؤكد أنّ خلف الأحمر كان من الرواة المصلحين الذين يقومون ما أعوج لفظه ومعناه، وقد أقسم الأصمعي أنْ لا يرويه إلا كما أصلحه شيخه خلف الأحمر، وفي الوقت نفسه يؤكد أنّ اسمه أقحم في روايات أبي حاتم السجستاني الذي أدخل اسمه في سند رواياته، لعله يعطي رواياته المنحرفة قوةً وقبولًا عند القراء.

قال الأصمعي[٢]: (كأنّما جعل علم لغة ابني نزار ومن كان من بني قحطان على لغة ابني نزار بين جوانح خلف بمعانيها) ، كما كان الأصمعي يلازم خلف الأحمر كظله إذ كان لا يفارقه فقد ذكر الأصمعي قائلًا[٣]: (أنشدنا أبو ضمضم البكري لسبعين أو ثمانين شاعرًا كلهم اسمه عمرو، فعددت أنا وخلف الأحمر فلم نقدر على أكثر من ثلاثين).

روى الأصمعي قصيدة لعبدالله بن جنح النُكري قائلًا[٤]: (أنشدنيها خلف الأحمر) وعندما يعد رواة الشعر الثقات يكون الأصمعي صاحب القدح المعلى بينهم، وها هو يوثق روايات خلف الأحمر ويؤكد صحتها، ونختم شهادة الأصمعي بقوله[٥]: (ما بلغتُ الحلم حتى رويتُ اثنتي عشرة ألف أرجوزة للأعراب، وكان خلف الأحمر أروى الناس للشعر

(١) ديوانه : ٤٨٠

(٢) طبقات النحويين واللغويين : ١٦٣

(٣) نور القبس : ٣٤٨، العقد الفريد : ١٥٨/٦

(٤) الأصمعيات : ١١٤-١١٥

(٥) العقد الفريد : ٥ /٢٧٩

وأعلمهم بجيده). وهذا يؤكد أنّ خلفًا لم يكن الراوية الأول للشعر فحسب؛ بل هو من كبار النقاد في عصره.

قال الأصمعي[1]: (أقبل فتيان الى أبي ضمضم بعد العشاء، فقال : ما جاء بكم ؟ قالوا : جئنا نتحدث إليك، قال : كذبتم يا خبثاء، ولكن قلتم كبر الشيخ فهلم بنا، عسى أن نأخذ عليه سقطة، قال : فأنشدهم لمئة شاعر كلهم اسمه عمرو، وقال الأصمعي : فعددت أنا وخلف الأحمر، فلم نزد على أكثر من ثلاثين) إلا أنَّ الأصمعي كان يؤكد أنّه منذ شبابه المبكر كان مرافقا لخلف الأحمر يسمع منه ويشاركه في بعض الأحيان في الرأي، والأصمعي من الرواة الثقات.

روى الأصمعي عن خلف الأحمر أنّهُ قال[2]: (سُنةِ الأعراب أنَّهم إذا حدَّثوا الرجل الغريب، وَهشوا إليه ومازحوه، أيقن القِرى، وإذا أعرضوا عنه عرف الحرمان).

٢- ابن هشام (ت٢١٨هـ)، هو أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري صاحب كتاب السيرة النبوية الشريفة، التي مثلت تنقيحاً للسيرة التي كتبها محمد بن اسحق (ت١٥٠ هـ) إذ شن ابن سلام حملة شعواء على ابن اسحق، لما أورده من أشعار موضوعة ومنحولة في السيرة، فقام ابن هشام بتصحيح تلك الأشعار وتنقيتها وإسقاط الأشعار الموضوعة، فاتصل بخلف الأحمر ومنه وثق الأشعار، واستبعد الأشعار الموضوعة، وصحح الأشعار المحرفة، فمن ذلك ما رواه ابن اسحق منسوباً للأعشى :

(١) أمالي المرتضى : ١/٤٩٣-٤٩٤

(٢) أمالي المرتضى : ٥ / ٢٨١

بينَ الخورنقِ والسد يرِ وبارقٍ

والبيت ذي الكعباتِ من سنددِ

فعقب ابن هشام قائلًا[1]: (هذا البيت للأسود بن يعفر النهشلي) وأضاف أنَّهُ من قصيدة أنشده إياها أبو محرز خلف الأحمر ورواية البيت هي كما يأتي :

أهلُ الخورنقِ والسد يرِ وبارقٍ

والقصرِ ذي الشرفاتِ من سنددِ

ويؤكد صحة قراءة خلف أنَّ البيت الذي يسبقه في القصيدة هو :

ذا أؤملُ بعدَ آلِ محرقٍ تركوا منازلهم وأهلَ أيادِ

وبالمحصلة النهائية البيتان من قصيدة الأسود بن يعفر المشهورة ذات المطلع :

نامَ الخليُ وما أحسَ رقادي والهمُ محتضرٌ لديَ ووسادي

وهي ثابتة النسبة للأسود بن يعفر النهشلي في ديوانه[2]والقصيدة موثقة عند المفضل الضّبي[3]وابن سلام[4]وابن قتيبة[5]وأبي الفرج الأصفهاني[6]، وهي مطابقة لرواية خلف الأحمر.

(١) السيرة النبوية : ١ / ٨٩

(٢) ديوانه : ٢٥ - ٣١

(٣) شرح اختيارات المفضل : ٢/ ٩٦٤

(٤) طبقات فحول الشعراء : ١٢٣/١

(٥) الشعر والشعراء : ٢٥٥/١

(٦) الأغاني : ١٥/١٣

أنكر ابن هشام رواية ابن اسحق لشعر أمية بن أبي الصلت، الذي بكى زمعة بن الأسود ومن قتل معه من بني أسد يوم بدر قائلًا[١]: (هذه ليست بصحيحة والصواب هو ما أنشدني به خلف الأحمر...) ثم ذكر القصيدة، كما كان ابن هشام يأخذ الشعر من خلف الأحمر فقد قال[٢]: (أنشدني خلف الأحمر للعباس بن مرداس قوله[٣] :

وعكُّ بنُ عدنان الذينَ تلاعبوا بغسانَ حتى طردوا كلَّ مطردِ)

٣- محمد بن سلّام الجمحي (ت٢٣١ هـ) وهو من رواة الشعر ونقده الثقات، ومن مدرسة البصرة وهو من أبرز موثقي روايات خلف الأحمر فقد كان أبو الخطاب الأخفش، ويونس بن حبيب، وأبو محمد اليزيدي، وأبو عبيدة، وأبو زيد الأنصاري، وابن سلّام يأخذون برواية خلف الأحمر ولم يجرحوا ولم يشككوا في صحة روايته ولم يقللوا من منزلته العلمية بل كانوا يوثقونه بالإجماع لذلك قال ابن سلام[٤]: (أجمع أصحابنا أنَّهُ كان أفرس الناس ببيت شعر وأصدقه لسانًا، كنا لا نبالي إذا أخذنا عنه خبرًا أو أنشدنا شعرًا أنْ لا نسمعه من صاحبه)، ومن الجدير بالذكر هو أنَّ د.يوسف خليف نقل قول ابن سلام مبتورًا وكما يأتي ((أجمع أصحابنا أنَّهُ كان أفرس الناس ببيت شعر))، ونقله للخبر مبتورًا لكي يأتي مطابقًا لأفكاره السوداوية، فلو نقله كما قاله ابن سلام لكانت حجته داحضة، ولا يقبل الدارسون قوله، ولكنه وللأسف سلك طريق التعمية والتضليل لكي لا يقف الدارسون على السيرة الحقيقية لخلف الأحمر، وأما تمام القول فهو ((وأصدقه لسانًا، كنا لا نبالي إذا أخذنا عنه خبرًا أو

(١) السيرة النبوية : ٢/٣٢-٣٣

(٢) المصدر السابق : ١/٨-٩

(٣) ديوانه : ١٢٠

(٤) طبقات فحول الشعراء : ١ / ٢٣

أنشدنا شعرًا أنْ لا نسمعه من صاحبه)) ولم أجد مبررًا مقنعًا لهذا إلا القول باختلافهما العقائدي، فخلف الأحمر علوي الهوى والمعتقد، و د.يوسف خليف أموي الهوى والمعتقد[١]، كما ذكر ابن سلام إنَّ سائلًا قال لخلف الأحمر[٢]: (إذا سمعت أنا بالشعر استحسنه فما أبالي ما قلت أنت فيه وأصحابك، قال: إذا أخذت درهمًا فاستحسنته فقال لك الصراف : إنه رديء، فهل ينفعك استحسانك إياه) وهذا يؤكد أنَّ خلف الأحمر يرفض الشعر الموضوع والمنحول والرديء، وفي الوقت نفسه يقوي مرويات خلف ويزيدها ثقة.

وذكر ابن سلام أنّ خلف الأحمر أخبره [٣]: (إنّه سمع أهل البادية من بني سعد يروون بيت النابغة للزبرقان بن بدر، فمن رواه للنابغة قال:

تعدو الذئابَ على منْ لا كلابَ لهُ

وتتقي مربضَ المستنفرِ الحامي

ومن رواه للزبرقان بن بدر قال :

إنّ الذئابَ ترى منْ لا كلابَ لهُ

وتتقي مربضَ المستثفرِ الحامي

لم يعط خلف الأحمر رأيًا قاطعًا بنسبة البيت لأي الشاعرين فهو موجود في شعرهما، وهذا ما يوثق صحة مرويات خلف الأحمر ، ومثله قول النابغة الذبياني[٤] :

فلستُ بمستبقٍ أخاً لا تلمهُ على شعثٍ أيُّ الرجالِ المهذبُ

(١) الشعراء الصعاليك :

(٢) طبقات فحول الشعراء : ١ / ٧

(٣) طبقات فحول الشعراء : ١ /٥٧

(٤) ديوانه : ٧٢

نقل أبو الحسن بن أبي غسان البصري عن خليفة أبي الفضل بن الحباب الجمحي، قال : (إنّ بني سعد بن زيد مناة بن تميم، تزعم أنّ هذا البيت لرجل منهم يقال له سعد) وأضاف الحاتمي[١]: (وأنشدنيهِ العطاردي قائلًا : أخبرنا خلف الأحمر، قال : إنّ أعراب بني سعد تقول ذلك). وفي الحالتين لم يكن خلف الأحمر سوى راوٍ للبيت، وهو لم يقطع بصحة ما قاله بنو سعد، ولم يرفضه تاركًا ذلك للقراء لكي لا يتهم بالانحياز أو النحل.

قال ابن سلّام[٢]: (عدي بن زيد يسكن الحيرة، ويراكن الريف فلان لسانه، وسهل منطقه، فحمل عليه شيء كثير، وتخليصه شديد واضطرب فيه خلف الأحمر، وخلط فيه المفضل فأكثر) فمن خلال رواية ابن سلام نفهم أنّ شعر عدي بن زيد كان مشكلًا للرواة العلماء، فقد بذل خلف الأحمر جهودًا كبيرة في محاولة جادة منه لتنقيته مما علق به من الشوائب والشعر الموضوع حتى بانَ الاضطرابُ عليه، أما المفضل الضبي فقد اختلط عليه الشعر الصحيح مع الشعر الموضوع، فلم يعد يميز بين هذا وذاك، لذلك لم يكن ابن سلام مقتنعًا تمامًا في صحة شعر عدي بن زيد، مع الأخذ برواية خلف الأحمر بتحفظ، وفي الوقت نفسه رفض رواية المفضل.

ومما يؤكد صدق أقوال خلف الأحمر وثقة مروياته، هو ما ذكره ابن سلام عندما سئل خلف الأحمر[٣]: (بلغني أنَّكَ تقول : كعبٌ أشعر من زهير ؟ قال : لولا أبياتُ مديحٍ لزهير كبر أمرهن لقلت ذلك)، هذه الرواية تؤكد تقارب المستوى الشعري لزهير وابنه كعب ولو لم يكن زهير صادقًا في مديحه لقدم خلف عليه ابنه كعب، ومعلوم أنّ ابن

(١) حلية المحاضرة : ٣١/٢

(٢) ديوانه : ١٨

(٣) طبقات فحول الشعراء : ١ / ١٤٠

سلام جعل زهيرًا ثالثًا في الطبقة الأولى من الفحول[١]فيما جعل ابنه كعبًا ثالثًا في الطبقة الثانية[٢]، وهما متقاربان في المستوى الشعري عند ابن سلام أيضًا، مثلما هما متقاربان عند خلف الأحمر.

ب - العلماء الذين وثقوا مروياته من خلال أقوالهم :

١- أبو نؤاس (ت١٩٨هـ)، [٣] :

قيل لأبي نؤاس : ما تقول في الأصمعي ؟ فقال : بلبل في قفص.

وقيل له فما تقول في خلف الأحمر ؟ فأجاب : (جمع علوم الناس وفهمها)، وقد أيد ذلك أبو العباس ثعلب.

وقيل فما تقول في أبي عبيدة ؟ فقال[٤]: ذاك أديم طوي على علم).

٢- قال مروان بن أبي حفصة لخلف الأحمر[٥]: اسمع شعري وأصدقني عنه (أراد قل الحقيقة ولا تجاملني فيها ى)، قال : هات : فأنشده :

طرقتكَ زائرةٌ فحيي خياله

فلما بلغ إلى قوله :

حتى إذا وردتْ أوائلَ خيلَهُ

قال : لأنتَ أشعر من الأعشى في قوله :

رحلتْ أميمةٌ غدوة أجمالها غضبى عليكَ فما تقولُ بدا لها

(١) - المذاكرة في ألقاب الشعراء : ٥٧

(٢) - طبقات فحول الشعراء :٥١/١

(٣) - طبقات فحول الشعراء : ١ / ١٠٩

(٤) - أخبار أبي نؤاس : ١٥٤

(٥) - نور القبس : ١٠٩

٣- أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت٢٠٩هـ) قال[١]: (خلف الأحمر معلم الأصمعي، ومعلم أهل البصرة) وقد أيد ذلك ابن المعتز[٢].

٤- الرياشي (ت٢٥٧هـ) وهو العباس بن الفرج قال[٣]: (سمعتُ الأخفش يقول : لم ندرك ها هنا أحدًا أعلم بالشعر من خلف الأحمر والأصمعي).

٥- أبو زيد الأنصاري (ت٢١٥هـ) هو سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري قال[٤]: (أتيتُ إلى بغداد حين أقام المهدي محمد فوافاها العلماء من كل بلدة بأنواع العلوم، فلم أرَ رجلًا أفرس ببيت شعرٍ من خلف).

٦- وممن أخذ عن خلف ووثق رواياته سلمة بن عاصم (ت٣١٠هـ) أبرز تلاميذ الفراء وراوية كتبه[٥].

٧- وكذلك كيسان (توفي في القرن الهجري الثالث) وهو أبو سليمان بن معروف تلميذ أبي عبيدة، كان يحضر حلقة خلف الأحمر العلمية بصحبة محمد ابن سلام الجمحي ويأخذ عنه،فقد روى محمد بن سلام قائلًا[٦]: (سأل كيسان خلف، وكان به صممٌ . فقال : يا أبا محرز : علقمة بن عبدة جاهلي أم من بني ضبّة ؟ فقال : يا مجنون، صحح المسألة، يصحح لك الجواب).

٨- وممن روى عن خلف الأحمر ووثق رواياته أبو العاصي (توفي في القرن الهجري الثالث) فقد قال الجاحظ[٧]: (أنشدني أبو العاصي، قال أنشدني خلف الأحمر) :

---

(١) - المذاكرة في ألقاب الشعراء : ٧٦

(٢) - نزهة الالباء : ٧٠

(٣) - طبقات الشعراء : ١٤٨

(٤) - معجم الأدباء : ١٧٩/٤

(٥) - الفهرست : ٨١

(٦) - نزهة الالباء : ٥٣

(٧) طبقات اللغويين والنحويين : ١٦٤

وبعضُ قريضِ القوم أولادِ علةٍ يكدُّ اللسانَ الناطقِ المتحفظِ

أولاد علة : هم بنو رجلٍ واحد لأمهات شتى.

وأضاف الجاحظ قائلًا[١]: (وقال أبو العاصي : أنشدني أبو محرز خلف الأحمر).

٩- قال أبو منصور الثعالبي(ت٤٢٩هـ) [٢]: (قال خلف الأحمر : الشعر ديوان العرب، وبستان الزمان، والشعراء أمراء الكلام).

١٠- قال ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) :

أ - (قال خلف الأحمر[٣] : إنَّ أشد الهجاء أعفه، وأصدقه. وقال : إنّ أشد الهجاء ما عف لفظه، وصدق معناه).

ب – كان أبو عمرو بن العلاء وأصحابه لا يجرون مع خلف الأحمر في حلبة هذه الصناعة (أعني النقد) ولا يشقون له غبارًا لنفاذه فيها وحذقه بها وإجادته لها[٤].

١١- قال صلاح الدين الصفدي عن خلف الأحمر :

أ- قال الصفدي[٥]: كان راوية ثقة علامة، يسلك مسلك الأصمعي في طريقه ويحذو حذوه حتى قيلَ ؟ هو معلم الأصمعي، وهو والأصمعي فتقا المعاني وأوضحا المذاهب وبينا المعالم).

ب – وقال[١]: (قال أبو الطيب اللغوي عن خلف الأحمر : كان يختمُ القرآنَ كلَّ يومٍ وليلةٍ).

---

(١) البيان والتبيين : ١ / ٦٦، والبيت في العمدة : ١ / ١٧٢

(٢) البيان والتبيين : ١ / ١٢٩

(٣) اللطف واللطائف : ٥٦

(٤) م. ن : ١٧١/١

(٥) - العمدة : ١ / ١١٧

١٢- قال إدريس بن عبدالكريم[٢] : قال لي سلمة بن عاصم : أريد أنْ أسمع كتاب العدد من خلف، فقلت لخلف، فقال : فليجيء، فلما دخل عليه رفعه لأنْ يجلس في الصدر، فأبى وقال : لا أجلس إلا بين يديك، أمُرنا أنْ نتواضع لمن نتعلم منه) وهذه هي أخلاق العلماء يتواضعون لمن يعلمهم.

١٣- قال السيوطي[٣]: (ما ازدحم العلم والشعر في صدر أحدٍ ازدحامهما في صدر خلف الأحمر وابن دريد).

(١) - الوافي بالوفيات : ١٣ / ٣٥٥

(٢) - الوافي بالوفيات : ١٧ / ٣٥٤

(٣) - المزهر : ٢ / ٤٠٩

المبحث الثالث: الرواة المعتدلون :

هؤلاء العلماء الرواة تميزوا عن غيرهم من الرواة بكونهم كانوا معتدلين فهم يروون كما يسمعون، فلا ينحازون لخلف الأحمر، ولم يكونوا خصومًا له وهم :

١- الجاحظ (ت٢٥٥هـ) هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ العالم الراوية الموسوعي :

أ - ذكر قصيدة :

إنَّ بالشعبِ الذي دونَ سلعٍ لقتيلًا دمُهُ ما يُطلُّ

فقد شكك الجاحظ في صحة نسبتها لتأبط شرا وذلك لكثرة من شكك بها، ومع ذلك فهو يرجح أنها لتأبط شرا وذلك من خلال استعماله لفعل التمريض يقال[١].

الجاحظ من الرواة الثقات المعول كثيرًا على مروياتهم وها هو يقول[٢]: (جلستُ إلى أبي عبيدة، والأصمعي، ويحيى بن نُجيم، وأبي مالك عمرو بن كركرة، مع من جالستُ من رواة بغداديين فما رأيتُ منهم قصدٌ إلى نسيب فأنشده وكان خلف يجمع ذلك كله)، وهذا يعني أنَّ رواية خلف الأحمر للشعر كانت شمولية وواسعة، وهو أكثر إحاطة بالشعر وأغراضه ممن ذكر من العلماء ، فالذي يقصد خلف الأحمر يجد عنده كُلِّ ما يريد من الشعر بأغراضه المختلفة، فهو راوية موسوعي كثير الحفظ ، كما ذكر الجاحظ أنَّ جميع الرواة رووا نسيب الأعراب عن خلف الأحمر[٣]، كما كان الجاحظ ينقل بعض رواياته وأخباره مُسندة إلى الأصمعي عن خلف الأحمر[٤]، وكذلك مُسندة إلى يونس بن حبيب عن خلف الأحمر[٥]، ولم يكتفِ الجاحظ بذلك بل شمر عن ساعده للدفاع عن

(١) نزهة الألباء في طبقات الأدباء : ٣٠

(٢) الحيوان : ٣ /٦٩

(٣) البيان والتبيين : ٤/٢٣-٢٤

(٤) المصدر السابق : ٤/٢٤

(٥) م. ن : ٣ / ٩٧

خلف الأحمر والأصمعي قائلًا [١]: (لقد ولدوا على لسان خلف الأحمر والأصمعي أرجازًا كثيرة ، فما ظنك بتوليدهم على ألسنة القدماء) وهذا يؤكد أنَّ الجاحظ كان يعرف أنَّ هناك أيد خفية تحاول العبث بالأدب العربي من خلال تدنيس سمعة خلف الأحمر والأصمعي.

ب - قال الجاحظ[٢]: (قال أبو الحسن : جاء خلف الأحمر إلى حلقة يونس حين مات أبو جعفر فقال :

قدْ طرقتْ ببكرِها بنتُ طيقْ

فقال يونس : ماذا ؟ قال :

فذمرُوها خبرًا ضخمُ العنقْ

فقال يونس : وماذا ؟ فقال :

موتُ الإمامِ فلقةٌ من الفلقْ)

وهذا يعني أنَّ خلف الأحمر كان يُعد موت العلماء مصيبة عظمى ما بعدها من مصيبة، لذلك كان خلف الأحمر في أشد حالات الحزن والألم لموت واحد من كبار علماء عصره.

ت - قال الجاحظ[٣]: (قال خلف الأحمر : لم أرَ أجمع من بيت امرئ القيس

أفادَ وجادَ وسادَ وزادَ وقادَ وذادَ وعادَ وأفضل

ولا أجمع من قوله :

لهُ أيطلا ظبيٍ وساقا نعامةٍ وإرخاءُ سرحانٍ وتقريبُ تنفتل).

النقاد والرواة يتفقون على صحة ذلك، وهذا الاستنباط الرائع يسجل سابقة لخلف الأحمر دون سواه.

---

(١) م. ن : ٣ / ٥٣، الحيوان : ٣/ ٥٢ – ٥٣

(٢) الحيوان : ٣ / ٢٣

(٣) الحيوان : ٤ / ١١٨، ٣ / ٤٤٦

ث - قال الجاحظ[١]: (لقد شهدتهُم وما هم على شيءٍ أحرص منهم على نسيب العباس بن الأحنف، فما هو إلا أنْ أورد عليهم خلف الأحمر نسيب الأعراب، فصار زهدهم في شعر العباس بقدر رغبتهم في نسيب الأعراب)، وأراد الجاحظ أنَّهُ شهد رواة الشعر بذلك.

ولو لم يشك الجاحظ في صحة نسبة القصيدة :

إنَّ بالشعبِ الذي دونَ سلعْ لقتيلًا دمُهُ ما يطلُّ

لوضعته فيمن يوثق مرويات خلف الأحمر ويؤكد صدقها.

٢- ابن المعتز (ت٢٩٦هـ) هو عبدالله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد[٢].

آ- ذكر ابن المعتز أنَّ خلف الأحمر المكنى بأبي محرز[٣]: (كان عالمًا بالنحو والغريب والنسب وأيام الناس، شاعرًا مطبوعًا كثير الشعر جيده، ولم يكن في نظرائه من أهل العلم والأدب اكثر شعرًا منه)، وهذا يؤكد أنَّ خلف الأحمر لم يكن مجرد راوية بل كان عالمًا محيطًا بأكثر العلوم فضلًا عن ذلك فهو شاعر بل هو أشعر العلماء.

ب - ذكر ابن المعتز قصيدة :

إنَّ بالشعبِ الذي دونَ سلعْ لقتيلاً دمُهُ ما يطلُّ

فقال[٤] : (إنَّ دعبلًا الخزاعي قال : إنَّ خلف الأحمر قال لي : أنا والله قلتها، ولم يقلها تأبط شرا). الخبر لا يحتاج إلى تعليق لأنَّ القصيدة مرت بنا ورأينا الآراء المتقاطعة في نسبتها.

---

(١) - الحيوان : ٦ / ٤٠٩

(٢) - الحيوان : ٤ / ١٨١

(٣) - طبقات الشعراء : ٨

(٤) م. ن : ١٤٦ - ١٤٧

ت - ذكر ابن المعتز خبرًا مع قطعة شعرية قوامها ستة أبيات قائلًا[1] : (حدثني أحمد بن محمد بن جعفر بن الهيثم قال : قال أيوب بن اسحق : قلت لخلف الأحمر : يا أبا محرز اكتبني أبياتًا على أبيات أبي أمامة العبدي، فقال لي : أكتب لفلان، رجلٌ لا أعرفه، فكتب ستة أبيات، ومن ثم مرض خلف، وجاءَه للعيادة فقال له : هذه الأبيات ليست لمن ذكرتها له، وإنَّما هي لي وأنا قائلها، وأنا أستغفر الله).

الرواية ساذجة وركيكة وقد بان الوضع عليها من عدة وجوه، فرواة الخبر كلهم نكرات غير معروفين بين الرواة، أضف إلى ذلك أنهم نسوا اسم الشاعر الذي قال لهم خلف أنَّهُ قال الشعر، ومن ثم وبعد سنوات يأتي ذلك الرجل لعيادة خلف في مرضه فيخبره، أي خلف هو الذي قالها وأنَّهُ يستغفر الله، ألا ترى أنها رواية لمجرد التلفيق والطعن ليس غير، فالذي ينسى اسم الشاعر غير جدير بقبول روايته لأنَّهُ حتمًا سيخلط في رواياته وبذلك هو غير موثوق به، ومن وجهة نظر قانونية إنَّ هذه الرواية باطلة، ولا يعتد بها.

ث - وختم ابن المعتز شهادته في خلف الأحمر وروايته ونقده، قائلًا[2] : (هو كثير الشعر مذكور، وشعره موجود في أيدي الناس، ويقال : إنَّهُ معلم الأصمعي).

هذه رواية طيبة، الرجل شاعر والرواة وعامة الناس يعرفون شعر خلف الأحمر، وهم يعرفونه ويفرقون بينه وبين ما كان يروي من شعر الجاهليين والإسلاميين، وبذلك يكون ابن المعتز معتدلًا في طرحه فهو ذكر ما سمع وما روي له ؛ وقال رأيه في خلف الأحمر بوضوح وصراحة وهذا هو الناقد المستقيم.

---

(١) م. ن : ١٤٧

(١) طبقات الشعراء : ١٤٨

الفصل الثالث

لامية العرب بين النفي والإثبات

لم يكثرْ الجدلُ والخلافُ حول قصيدةٍ عربيةٍ قديمة، مثلما كَثُرَ حول لامية العرب وتشعب، لأسبابٍ كثيرة ومتنوعة : منها عِرقي، ومنها طائفي، ومنها سياسي، ومنها ما هو صراع بين الرواة والعلماء وتلامذتهم من أجل تبوء حظوة عند الخلفاء والأمراء والولاة والوزراء والقادة وغيرهم، والقصيدة كانت أرضًا خصبة لتقبل تلك الآراء والاختلافات لأسباب عدة منها: إنَّ شاعر القصيدة صعلوكٌ بعيدٌ عن المجتمعات المتحضرة ومجالس الملوك والمحافل الأدبية، وراوية القصيدة هو من أكثر الرواة جدلًا ؛ فضلًا عن كونه لم يدخل إلى مجالس الخلفاء ولا غيرهم، وأنَّهُ ينحدرُ من أصلٍ غير عربي، كلّ هذه الأمور مجتمعةً ساهمت بصورة كبيرة فيما وصلت إليه قصة قصيدة لامية العرب، وفي هذا البحث بذلتُ قصارى جهودي لأقدمها للقارئ الكريم ليطلع عليها، ويحكم عليها بنفسه، على وفق ما تترسب في ذهنه من قناعات.

تعدُّ قصيدة لامية العرب من غُرر القصائد العربية الجاهلية وعيونها، فالقصيدة صورت حياة الإنسان العربي في صحراءٍ مترامية الأطرافِ، قلَّ ماؤُها وعشبُها، وعانى سكانها من شظف العيشِ وضنكهِ، فهيَ خيرُ مثالٍ على تصوير تلك الحياة القاسية وتجسيدها، والقصيدة بصورة عامة، هي أشهرُ من علمٍ في رأسهِ نارُ، وهي من بنات أفكار الشاعر الفاتك، الصعلوك الشَنْفَرَى الأزْدي ونظمهِ، ومطلعها هو :

أقِيمُوا بَني أُمِي صُدورَ مَطِيَكُمُ فإنّي إلى قَوْمٍ سِواكُمُ لأمْيَلُ

اختلفت المصادر في نسبة هذه القصيدة وتقاطعت، وظلت تتأرجحُ بين من يعزوها الى الشاعر الصعلوك الشنفرى الأزْدي، وبين من يقول : صنعها خلف الأحمر(ت١٨٠هـ) ونحلها الشنفرى الأزْدي، وذلك لأسباب كثيرة ومتعددة لسنا بصدد الوقوف عندها والخوض في غمارها، ولكنَّهُ يمكننا القول : إنَّ عدم انصياع العالم

الراوية خلف الأحمر لرغبات الخلفاء العباسيين وأمرائهم، ورفضه مدحهم وحضور مجالسهم، شأنهُ شأنُ معاصرهِ الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، الذي رفض هو الآخر الرضوخ لرغبات العباسيين ومطالبهم، وبسبب هذا الرفض، تصدى لهُ الرواة المغرضين من ذوي النفوس المريضة، وأصحاب الضمائر الضعيفة والميتة، ممن يلهثون وراء المال والشهرة الزائفة لإرضاء الحكّام، فباعوا ضمائرهم ومهنتهم الشريفة بثمنٍ بخسٍ، فأخذوا على عاتقهم تشويه سمعة خلف الأحمر ومكانته، وتصويره للجمهور، وتقديمه على خلاف حقيقته، فوضعوا على لسانهِ ما لا يصح قوله ولا يمكن قبوله من مثل قوله[١]: (كنتُ آخذُ من حمّاد الراوية الصحيح من أشعار العرب وأعطيه المنحول فيقبلُ ذلك مني ويدخله في أشعارها)، هذه الرواية ساذجة ومتكلفة، والوضع فيها واضح ومكشوف، يكاد يصرخ بوجه قارئه قائلًا : إنَّها موضوعة ومفتراة، فكيف يأخذ الصحيح من الأشعار ويعطيه المنحول ؟ وكيف يقبل الرواة بعد ذلك الأخذ برواياته ؟ إذا علمنا أنَّ خلف الأحمر هو معلمهم ومعلم البصرة [٢]، فإذا كان حال المعلم هكذا ! فما بالك بتلاميذه من الرواة، فهم أيضًا وضَّاعون، وليسوا بثقة، والواقع يشير إلى خلاف ذلك، فرواة البصرة هم أكثرُ الرواةِ توثيقًا، ثُمَ هل يعقل أنَّ رجلًا صاحبُ بضاعةٍ يقول للناس: بضاعتي سيئة وفاسدة ورديئة فلا تشتروها ؟ وهذا يؤكد أنَّ الرواية موضوعة، وهي ليست صحيحة، وهذا هو معنى القول المنسوب لخلف الأحمر، ولست هنا بصدد تبرئة خلف الأحمر مما علق به من تهمٍ زائفةٍ ومفتراة، بقدر ما يعنيني إثبات أنَّ اللامية للشاعر

(١) الأغاني : ٩٢/٦

(٢) المذاكرة في ألقاب الشعراء : ٧٦، نزهة الألباء : ٧٠

الشنفرى، ولكنّي أحيل القارئ الكريم الى بحثٍ نشرتهُ في مجلة العرب السعودية في ثلاثة أعداد [١]، برأ خلف مما ألصِقَ به من تهمٍ زائفة.

التعريف بالشاعر الشنفرى الأزدي : الشنفرى لقبٌ لأشهر شاعر صعلوك، وهو من فتاك العرب وذؤبانِها، وقد غلب لقبهُ على اسمهِ، والشنفرى تعني عظيم الشفتين، وقيل تعني الأسد أو الجمل الكثير الشَعر[٢]، فيما قال الجوهري[٣]: (الشنفرى اسمهُ لا لقبه)، وأما اسم الشنفرى ففيه خلاف كثير، فهو : عامر بن عمرو الأزْدي [٤]، وشمس ابن مالك الأزْدي[٥]، وعمرو بن مالك الأزْدي[٦]، وثابت بن أوس الأزْدي[٧]، ولكنَّ اللافت للنظر هو ما قالهُ العيني من أنَّ اسمه هو[٨]: (عمرو بن براق) وهذا وهمٌ منه والصواب أنَّ عمرو بن براق هو من الصعاليك المصاحبين له، وكذلك حدث وهم في اسمه عند السيدين عبدالجبار تعبان، وسليمان القره غولي حينما جمعا شعره ، وقالا : إنَّ اسمه هو[٩]: (ثابت بن جابر) نقلًا عن كتاب البرصان والعرجان، وسبب الوهم هو : إنَّ الأستاذ عبدالسلام محمد هارون محقق الكتاب ذكر ذلك، والصواب هو : إنَّ هذا الاسم هو للشاعر الصعلوك تأبط شرا المصاحب له، والشنفرى هو من بني الحارث بن ربيعة بن

(١) مجلة العرب السعودية الأعداد : ١- ٦ لسنة ٤٨ لسنة ١٤٣٣هـ.
(٢) شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٥٢/٢، أعجب العجب في شرح لامية العرب : ٣
(٣) الصحاح : ٧١/٢ ؛ خزانة الأدب : ١٦/٢
(٤) العمدة : ٣٣١/١
(٥) أعجب العجب في شرح لامية العرب : ١٤٨
(٦) الأعلام : ٢٥٨/٥ ؛ معجم الأدباء والمؤلفين : ١١/٨ - ١٢
(٧) دائرة المعارف : ٥٨٨
(٨) المقاصد النحوية على هامش الخزانة : ١١٧/٢
(٩) البرصان والعرجان : ٢٥٦ (ينظر الهامش) ؛ معجم ألقاب الشعراء : ١٢٨

الأواس بن الحجر بن الهئ بن الأزد بن الغوث بن نبت بن زيد بن كهلان بن سبأ [١]عاش الشنفرى ومات قبل الإسلام، وهو من رآبيل العرب ممن كانوا يغزون على أرجلهم عدوًا[٢]، والشنفرى كان أسودَ البشرة، وهو من سُودان العرب وأغربتِهم، وهم الذين لحِقَ بهم السواد من طرف أمهاتهم اللواتي كُنَّ من الإماء[٣].

الأراء الرافضة للاّمية : قصيدة لامية العرب هي من غرر القصائد الجاهلية، فقد كانت منتشرة على نطاق واسع، على الرغم من أنَّ الشعراء الصعاليك كانوا منقطعين عن المجتمعات، بعيدين عن المجالس والمحافل، بسبب طردهم من قبائلهم وخلعهم، حيثُ كانت تنشد القصائد والأشعار، وبعد ذلك يتداولها الرواة، فتنتشر وتشيع بين الناس، ومع ذلك لم يشكك أحدٌ من الرواة في نسبتها إلى الشنفرى، ولكن الإشارة الأولى إلى نحلها جاءتْ في القرن الرابع الهجري، وذلك بعدما بدأ العلماء الرواة بتدوين أشعار العرب، وكان من ضمن ما دونوه أشعار الصعاليك، وقصائد الصعاليك هي من نمطٍ خاصٍ من الشعر يمتاز بالقِصَر، فضلًا عن الألفاظ الوعرة والغريبة والوحشية، ولما كانت لامية العرب قد انمازت عن غيرها بطولها الذي بلغ السبعين بيتًا [٤]، وسلاسة أبياتها ووضوح معانيها، لذلك بدأت الآراء تتجاذبها بين رفض غير مسوغ، وقبول غير مطمئن، وسنقف على الآراء الرافضة لها والمؤيدة، وحسب سياقها الزمني.

(١) الاشتقاق : ٣٥

(٢) التلخيص في معرفة أسماء الأشياء : ١٦٧/١

(٣) المزهر : ٢٦٩/٢ ؛ الرآبيل : هم الصعاليك الذين يغزون ويعدون على أرجلهم، فهؤلاء لم تلحقهم الخيل، أعجب العجب في شرح لامية العرب: ٤

(٤) ديوانه : ٦٦ - ٩٠

أولًا : بعد تدوين شعر الصعاليك وانتشاره بين الناس، لم يقل أحد : إنَّ القصيدة منحولة، ولكنَّ أول اشارة قالت أنَّها منحولة، كانت في القرن الرابع الهجري، فقد نصَّ على نحلها العالم الراوية أبو بكر بن دريد (ت٣٢١هـ)، حينما نقل عنه تلميذه أبو علي القالي (ت٣٥٦هـ) وذلك في معرض مدح القالي لخلف الأحمر، وعلمه الغزير بالشعر، وتمكنه منه وإعجابه به [١]، وليَ عدة ملاحظات على هذه الرواية تتمثل فيما يأتي :

١) - إنَّ أول من أطلق اسم لامية العرب على هذه القصيدة، هو الخليفة عمر بن الخطاب (ت٢٣هـ) في قوله[٢]: (علموا أولادكم لامية العرب، فإنَّها تعلمهم مكارم الأخلاق)، وأكد هذه التسمية ((لامية العرب)) كلٌ من : أبو البركات عبدالله بن الحسين [٣]، وسليمان بيك بن عبدالله بيك الشاوي[٤]، وأحمد بن مصطفى المعروف بطاش كُبري زادة [٥].

٢) - مخطوطة ديوان الشنفرى كتبها العالم الراوية، أبو فيد مُؤرج بن عمرو السدوسي (ت١٩٦هـ)، وصنع منها ديوان شعر الشنفرى، وكانت قصيدة لامية العرب من ضمن القصائد المخطوطة، وبذلك تكون اللامية قيد التداول ويتناقلها الرواة منذ العصر الجاهلي إلى عصر التدوين، وقد حقق الأستاذ الدكتور علي ناصر غالب الديوان المخطوط تحقيقًا علميًا ممتازًا، والقصيدة ضمن الديوان المحقق وتحت التسلسل

---

(٢) أمالي القالي : ١٥٦/١ ؛ طبقات النحويين واللغويين : ١٦٢ - ١٦٣

(٢) الغيث المسجم في شرح لامية العرب : ٢٧/١

(٣) رشف الضرب من شرح لامية العرب :٧٠

(٤) سكب الأدب على لامية العرب : ٨٩

(٥) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم :٢٢٥/١

السابع [١]، وتبنتْ نشر ديوان الشنفرى، دار اليمامة في الرياض، في المملكة العربية السعودية سنة ١٩٩٨م، وتمتْ فهرستهُ في مكتبة الملك فهد الوطنية، وقبل طباعته النهائية، أُوكلتْ مهمة مراجعتهُ النهائية إلى الأستاذ الدكتور عبدالعزيز بن ناصر المانع، أستاذ الأدب العربي الجاهلي في كلية الآداب بجامعة الملك سعود، وكتبَ مقدمتهُ الأولى شيخ المحققين المرحوم الأستاذ حمد الجاسر والذي أكد فيها، وعبر دراساتهِ أنَّ اللامية للشنفرى مستشهدًا في المقدمة بعدة أبياتٍ منها، فضلًا عمّا سبق فقد نسبها العالم اللغوي والنحوي ابن جني إلى الشنفرى في روايةٍ مقروءةٍ على شيخهِ أبي علي الفارسي[٢]، ومعنى مقروءة، أنَّها كانت مكتوبة، ولو كانت شفوية لقالوا : أنشدها، لأنَّ القراءة للرواية المكتوبة، والإنشاد للرواية الشفوية، وبذلك بطَلَتْ بدعة انتحالها التي شاعت في القرن الرابع الهجري.

٣) - روى أبو العلاء صاعد بن الحسن البغدادي في كتابه (الفصوص) ما يأتي، قال ابن دريد[٣]: (سألتُ أبا حاتِم عن قول الشنفرى في رثاء خاله تأبط شرا :

تضحكُ الضبعُ لِقتلى هُذيلٍ وترى الذيبَ لها يستهلُ).

البيت من اللامية وقد وثقه ابن دريد نقلًا عن أبي حاتِم السجستاني، وهذه الرواية بدورها تؤكد أنَّ أبا حاتِم السجستاني يوثق مرويات خلف الأحمر.

٤) - أما ما ذُكِرَ عن ابن دريد من أنَّ خلف الأحمر صنعها، ثم نحلها للشنفرى، فهذا أمرٌ مردودٌ البته، وغير منطقي، وغير مقبول، ذلك لأنَّ ابن دريد لم يذكر ذلك، والرواية

(١) ديوانه : ٦٦

(٢) سر صناعة الإعراب : ٤٦/١، المنصف : ١٥/٣، ويلاحظ ديوانه المحقق : ٣٢

(٣) الفصوص : ٢ / ٣٣٣

مُفتراةٌ عليهِ، وهي متجنية كاذبة، فابن دريد كان ممن يجلون خلف الأحمر، ويحترمون شخصه وعلمه، وذلك على لسان أبي علي القالي نفسه، إذ كان يقول ويكرر[1]: (كنتُ أنا كثير التعطف للأصمعي، فكنتُ أسأل أبا بكر ابن دريد كثيرًا عن خلف والأصمعي أيهما أعلم ؟ فيقول لي : خلف، فلما أكثرت عليه انتهرني وقال : أين الثماد من البحر). الذي يقرأ النص بتمعن وتجرد، يشعر أنّ أبا علي وعلى الرغم من معرفتهِ بأنَّ خلفَ الأحمر كان أعلمُ من الأصمعي (ت٢١٦هـ)، إلا أنَّهُ كان يلحُ بإصرار على إعادة السؤال على شيخهِ أبي بكر بن دريد، لعله يسمع جوابًا مخالفًا للإجابات السابقة، فيثبته ويُسقط الإجابات الأخرى، ولما كان ابن دريد يمتلك عقلية علمية فذة، شعرَ بأنَّ أبا علي القالي يريد تحريف الحقيقة، فزجرهُ وانتهرهُ قائلًا : إنَّ علم خلف الأحمر، غزيرٌ مثل البحر البعيد القرار، فيما يكون علم الأصمعي بالنسبة له ثمادًا، أي قليلًا ضحلًا قياسًا إلى علم خلف الأحمر، ومن هنا نفهم سر التحامل الذي يحملهُ أبو علي القالي على خلف الأحمر، ولو على حساب تحريف الحقائق، علمًا أنَّ أبا علي القالي لم يطعن بخلف الأحمر بشكل مباشر، ولكنَّهُ كان يتخفى وراء قناعٍ، فقد جعل مصدر روايته ابن دريد، لعله يزيد التهمة قوة وقبولًا عند الدارسين والباحثين، وكان ابن دريد يدرك مرامي القالي، لذلك كان يزجره وينهره، وأنا أرجح أنَّ القالي صنع هذه الرواية بعد وفاة ابن دريد إنْ صحتْ الرواية ولم تكن موضوعة على القالي.

(١) معجم الأدباء : ١٢٨/١٨

٥) - أبو علي القالي نفسه يدحض رواية النحل السابقة، ويؤكد أنَّ اللامية هي للشنفرى رواية عن شيخهِ ابن دريد، وذلك في كتابه النوادر[١]، والذي كتبهُ بعد كتاب الأمالي، ومن هنا أقول : إنَّ رأيَ أبي علي القالي المعولُ عليه هو الأخير، وليس الأول - إذا صح الرأي الأول للقالي - وبذلك يكون خبر الأمالي موضوعًا عليه، علما أنَّ الأمالي هو من كتابة تلامذتهِ، والنوادر كتبهُ القالي بخط يدّهِ، وما يُؤخذ من الرجل من فمهِ، وبطريق مباشر أصدقُ وأوثق مما يُؤخذ عن غيرهِ، وبطريق غير مباشر، أو أنَّهُ حدثتْ صحوةُضمير عند القالي في أواخر عُمرهِ، فصحح ما أملاهُ سابقًا، فنسب اللامية للشنفرى، ولم يقل صنعها خلف الأحمر.

٦) - وهذا أبو المنذر سَلمة بن مُسلم العَوْتبي الصحاري، وهو من علماء النسب، وصاحب كتاب الأنساب، (وهو كتاب مخطوط لم يحقق بعد)، وقف عليه د.على ناصر غالب خلال تحقيقه الديوان، يؤكد صحة نسبة اللامية للشنفرى، وذلك من خلال استشهاده بأثني عشر بيتًا الأولى من القصيدة [٢].

ثانيًا : رواية المرزباني، روى المرزباني (قال الأصمعي[٣] : كنت بين يدي الرشيد في يومٍ قَرٍّ، إذْ دخل سُعيدُ بن سَلم، فقال : يا سُعيدُ أنشدني في البرد فأنشدهُ لمرة بن محكان السعدي :

(١) نوادر أبي علي القالي : ٢٠٣ - ٢٠٦

(٢) مخطوطة كتاب الأنساب للصحاري

(٣) نور القبس المختصر من المقتبس : ١٣٤

وليلة من جُمادى ذاتِ أنديَةٍ

لا يُبصِرُ الكلبُ من ظَلمائها الطُنُبا

لا ينبحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ

حتى يلفَّ خَيشومهُ الذَّنبـــــا

فقال أريد أبلغ من هذا فأنشدتهُ :

وليلةٍ قَرٍّ يصطلي القوسَ ربُّها

وأقدُحهُ اللاتي بها يتنبَّـلُ

فقال : يا أصمعي حسبك ما بعد هذا شيء !).

الأصمعيُ في هذا النص لا ينسب البيت للشنفرى، وهو يعرف أنَّهُ من لامية العرب، فالأصمعي وهو في حضرة الرشيد العباسي، لا يريد أنْ تظهر روايتهُ محدودة، فاتكأ على رواية خلف الأحمر، ولكنهُ غيَّبَ اسم الشاعر والراوي خوفًا من الرشيد، لأنَّ راوي اللامية ممن يتعارضون عقائديًا وسياسيًا مع الدولة العباسية والمناهضين لها، فلا يسمح الرشيد، ولا غيره من العباسيين لكائن من يكون، ذكر أسماء وأشعار من يعارضونهم، فضلًا عن أنَّ الأصمعي نفسه كان يتقاطع مع خلف الأحمر عقائديًا، لذلك فهو لا يروي شعره. ولما كان خلف الأحمر علوي الهوى، فهو إذن من الذين لا يُسمح برواية أشعارهم، ورواياتهم الإخبارية، وهذا التقاطع العقائدي والسياسي كان سببًا مُهمًا في تغييب اسم الشاعر وراويها.

ثالثًا – هذه طائفة من كبار العلماء الرواة، ممن نقلوا لنا أشعار العرب الجاهلية والإسلامية ودونوها في المجاميع والكتب المختلفة، وهم جميعًا يؤكدون صحة نسبة اللامية للشنفرى وهم كلٍّ من :

١) ابن جني في كتابيه : المنصف، والمحتسب، (ت٢٩٣هـ).
٢) الشمشاطي في الأنوار ومحاسن الأشعار (ت٣٧٧هـ).
٣) أبو أحمد العسكري في المصون في الأدب (ت ٣٨٥هـ).
٤) أبو هلال العسكري في كتاب الصناعتين (ت٣٩٥هـ).
٥) المرزوقي في شرحه ديوان الحماسة (ت٤٢١هـ).
٦) الشريف المرتضى في أماليه (ت٤٣٦هـ).
٧) المعري في رسالة الغفران (ت٤٤٩هـ).
٨) العكبري في شرحه اللامية (ت٤٥٦هـ).
٩) أبو عُبيد البكري في معجم ما استعجم (ت٤٨٧هـ).
١٠) القاضي التنوخي في القوافي (٤٨٧هـ).
١١) التبريزي في شرحه ديوان الحماسة (ت٥٠٢هـ).
١٢) الزمخشري في شرحه أعجب العجب في شرح لامية العرب (ت٥٣٨هـ).
١٣) ابن الشجري في مختارات أشعار العرب (ت٥٤٢هـ).
١٤) أسامة بن منقذ في المنازل والديار (ت٥٨٤هـ).
١٥) صلاح الدين خليل بيك الصفدي في الغيث المسجم (ت٧٦٤هـ)
١٦) شرح يحيى بن عبدالحميد الحلبي الغساني – مازال مخطوطًا في مكتبة الاسكوريال تحت الرقم ٣١٤.
١٧) شرح السويدي (مخطوط) مكتبة المتحف البريطاني تحت الرقم أول ٤ و ١٤١٥.

١٨) شرح المؤيد بن عبداللطيف النقجواني مكتبة ليدن تحت الرقم٥٦٩.

١٩) شرح محمد بن الحُسين بن كجك التركي بخط المؤلف، مكتبة أيا صوفيا تحت الرقم ٤١٤٥، وفي مكتبة جامعة بطبرسبرج تحت الرقم ٧٣٢.

٢٠) شرح أبي الإخلاص جاد الله الغنيمي الفيومي، القاهرة ثان ٣:٢٥٨ و آصفية ٢:١٢٤٤.

٢١) شرح لعالم لم يذكر اسمه مكتبة برلين تحت الرقم ٧٤٧٢/٣ .

٢٢) شرح ثعلب : آصفية ٢:١٢٤٤ ؛ ومكتبة الفاتيكان ثالث ٣٦٤.

٢٣) الشيخ محمد بن القاسم بن زاكور المغربي في تفريج الكُرب عن قلوب أهل الأدب.

٢٤) الشيخ عطاء الله بن أحمد المصري المكي في كتابه نهاية الأرب في شرح لامية العرب.

وعذرًا إنْ فاتني مصدر ذكر اللامية ولم أقف عليه، ثُمَّ توالت الشروح والاستشهاد بها في كتب النحو والأدب منسوبة للشنفرى، حتى العصر الحديث، أقول هل بعد كلِّ هؤلاء العلماء الثقات ؟ هل يمكن لأحد أنْ ينسب اللامية لغير الشنفرى ؟ وهل كلُّ هؤلاء العلماء الرواة كانوا مغفلين حتى يقبلوا برواية قصيدة منحولة ويذيعونها بين الناس، بالتأكيد لا يصح ذلك، ولا يقبلون به، فهي إذن من إبداع الشنفرى ورواية خلف الأحمر.

رابعًا - المستشرقون المؤيدون والمعارضون لصحة نسبة القصيدة للشنفرى : فمن المؤيدين لصحة نسبتها للشنفرى المستشرق الألماني جورج ياكوب الذي أسماها نشيد الصحراء، وأيد ياكوب المستشرقان جايريللي، وبروكلمان[1]وغيرهما، وأما المستشرق الشاك بصحة نسبتها للشنفرى، فهو المستشرق الفرنسي بلاشير[2]، ولا

(١) تاريخ الأدب العربي ؛ بروكلمان : ١٠٦/١ - ١٠٧

(٢) دائرة المعارف الإسلامية : ٣٩٥/١٣ - ٣٩٦ ؛ تاريخ الأدب العربي، بلاشير : ١١١/٢

يوجد غيره، المستشرقون المؤيدون هم من العلماء المنصفين، أما الشاكون فهما من المتحاملين على الإسلام ولغته العربية، وهدفهما الطعن في كل ما هو عربي إسلامي خدمة لمآربهما الضيقة، أولهما المستشرق الألماني تيودور نولدكه - على سبيل التمثيل - الذي كتب بالألمانية تاريخ القرآن، وحياة محمد، ودراسات في شعر العرب القدماء، قد أساءَ إلى القرآن الكريم وعدَّهُ من بنات أفكار الرسول محمد، وكذلك أساء إلى رمز الإسلام وقدوة المسلمين النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لذا يجب التعامل مع أفكار نولدكه الهدامة بحذر شديد، فالذي يطعن بالقران ويشكك بنزوله من الله، وينتقص من شخصية الرسول، ألا يطعن بالأدب ! فهو إذن ينفث سموم الحقد والكراهية في جسم الأدب العربي[1]، أما الثاني فهو المستشرق الفرنسي بلاشير الذي قال[2]: (لا يسعنا إلا مشاطرة الدكتور طه حسين حكمه القاسي على هؤلاء المخبرين تاركين جانبا تملقهم وبراعتهم التطفلية)، أراد بلاشير بالمخبرين العلماء من رواة الشعر العربي، إذن بلاشير وباعترافه يتفق مع طه حسين بالتشكيك بنزاهة العلماء من رواة الشعر العربي، ذلك لأنَّهُ يمثل امتدادًا لماركليوث وطه حسين، وبلاشير يؤيد ما ذهب إليه إلى طه حسين في محاولاته البائسة لنسف التراث الأدبي للعرب وإنكاره، ومحاولة استئصال جذوره، وبلاشير جيءَ به لتحقيق ما عجز عن تحقيقهِ سلفه السيئ الصيت مارجليوث ومن بعده تابعه طه حسين، والعمل على بث الشك والريبة، فضلًا عن زعزعة ثقة القارئ العربي بتراثه العربي، وذلك من أجل تمزيق وحدة

(١) الأعلام : ٧٩/٢

(٢) تاريخ الأدب العربي (بلاشير) : ١ / ١٣٠

المجتمع العربي الإسلامي، فوجد نولدكه وبلاشير ضالتهما في لامية العرب فانضموا لقائمة المشككين بصحتها .

فهل بعد مواقف المستشرقين المتشنجة من الإسلام والنبي العظيم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، والقران الكريم، والتراث العربي، نعولُ في أحكامنا على ما يقوله نولدكه وبلاشير ؟ فلبئس المسلمون نحنُ إذن.

خامسًا - وعلى نسق المستشرقين نجد ثلاثة من أساتذة الأدب العربي المعاصرين، يرفضون صحة نسبة القصيدة للشنفرى وهم كُلٍّ من : مصطفى صادق الرافعي في كتابه (تاريخ آداب العرب)[١]، والدكتور محمد مهدي البصير في كتابه (عصر القران) والدكتور يوسف خليف في كتابه (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي)[٢]فقد سار هؤلاء على خطى أسلافهم الرافضين لصحة نسبة القصيدة للشنفرى، فالرافعي حكم على القصيدة بلا حجة وبلا دليل، ونحن نقول له : البينةُ على من ادعى، فما هي بينتك يا رافعي ؟ أما ما قاله الدكتور محمد مهدي البصير من أنَّ [٣]: (القصيدة تسيءُ إلى سمعة العرب وتصفهم باللصوصية وقتل النساء وتيتيم الأطفال...الخ) ؛ فالسؤال هنا موجه للجميع، ألم يكنْ العرب قبل الإسلام يعيشون في الظلمات ؟ وجاء الإسلام لينقلهم منها إلى النور، ومن تلك الظلمات الصعلكة والفتك، أما قتل النساء، أ لمْ يكنْ العرب يئدون البنات ؟ وهو قتلها في مهادها، ويبيعون النساء في اسواق النخاسة، ويقوموا بالغارات المتبادلة فيما بينهم، وما يترتب عليها من قاتلٍ ومقتول، وثأر وطلب للثأر، وما ينجم عن ذلك

(١) تاريخ آداب العرب : ٣٩٥/١ – ٣٩٦

(٢) عصر القرآن : ٧٨

(٣) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي : ١٧٩ - ١٨١

من أيتام وأرامل ومعوقين، فضلاً عن الاستيلاء على أموال غيرهم بغير حق، وسبي النساء والأطفال، وقتل المعارضين لهم من الرجال والنساء، فهل بعد كُلِّ هذا كان المجتمع العربي قبل الإسلام مثاليًا ؟ فإن كان كذلك، فلِمَ بعث الله تعالى نبيه الكريم محمدًا (صلى الله عليه وآله وسلم) ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وأما الدكتور يوسف خليف فعذره أنَّهُ درس الشعراء الصعاليك فاجتهد ورأى، وهذا رأيه، ونحن نحترم رأيه وإنْ كان مُخطئًا فيما ذهب إليه.

سادسًا – الباحثون المحدثون : بعد ذلك وجدنا ثمانية عشر باحثًا من المحدثين يؤيدون صحة نسبة القصيدة للشاعر الشنفرى وهم :

١) الدكتور محمد بديع شريف في تحقيقه لكتاب ((لامية العرب أو نشيد الصحراء)).

٢) الدكتور عبدالمعين ملوحي في كتابه ((اللاميتان - لامية العرب ولامية العجم)).

٣الدكتور محمود العامودي في تحقيقه شرح ((لامية العرب للنقجواني)).

٤) الدكتور يوسف اليوسف في كتابه ((مقالات في الشعر الجاهلي)).

٥) الدكتور محمد خير الحلواني في تحقيقه ((شرح اللامية للعكبري)).

٦) الدكتور عبداللطيف حمودي الطائي في كتابه ((إشكالية الرواية والرواة)).

٧) الدكتور علي ناصر غالب في تحقيقه ((ديوان الشنفرى)).

٨) الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع في مراجعته ((ديوان الشنفرى)) المحقق.

٩) شيخ المحققين المرحوم حمد جاسر في كتابته لمقدمة ((ديوان الشنفرى المحقق)).

١٠) الأستاذ عبدالعزيز ابراهيم في شرح لامية العرب رجح فيه نسبة اللامية إلى الشنفرى.

١١) الدكتور سعد اسماعيل شلبي في كتابه ((الأصول الفنية للشعر الجاهلي)).

١٢) الدكتور محمد صبري في كتاب الشوامخ ((الشعر الجاهلي خصائصه وأعلامه)).
١٣) الموجز في الأدب العربي – لجنة من الأساتذة بالأقطار العربية.
١٤) الدكتور أحمد الحوفي في كتابه ((الحياة العربية من الشعر الجاهلي)).
١٥) الأستاذ كامل العبدالله في كتابه ((شعراء من الماضي)).
١٦) الأستاذ إيليا حاوي في كتابه ((البرناسية في الشعر العربي والغربي)).
١٧) الدكتور عبدالحليم حنفي في كتابه ((شعر الصعاليك : منهجه وخصائصه)).
١٨) الأستاذ مطاع الصفدي في كتابه (موسوعة الشعر العربي).

فالمجموع يكون ثمانية عشر أستاذًا من المحدثين المؤيدين لصحة نسبة اللامية للشنفرى، مقابل ثلاثة أساتذة رافضين نسبة لامية العرب للشنفرى، وأما المستشرقون فهم أكثر من ثلاثة يؤيدون صحة النسبة، واثنان فقط هما الرافضان لصحة النسبة، والحكم لأصحاب الإنصاف والعدل، هل الكثرة من العلماء القدامى والمحدثين فضلًا عن المستشرقين على صواب ؟ أم القلة القليلة صاحبة الرأي الضعيف والمتذبذب، هم على صواب ؟ الجواب متروك إلى القارئ الكريم.

سابعًا- وأما ما توصلتْ إليه بعض الدراسات من استنتاجات من أنَّ كثيراً من ألفاظها إسلامية [1]، ولا يمكن الاطمئنان إليها وقبولها، لأنَّ ما يُبنى على خطأ، تكون نتائجه بالمحصلة النهائية خطأ، وسأفند انموذجًا واحدًا من هذه الاستنتاجات ليطلع

(١) لامية العرب بين الشنفرى وخلف الأحمر : ١٣

القارئ الكريم على تحميل النصوص فوق طاقتها، ولَيْ عنق الحقيقة لصالح غرض معين ! والأنموذج هو[١]:

وفي الأرضِ منأىً للكريمِ عن الأذى

وفيها لمن خافَ القِلى مُتعزَّلُ

علق الباحث على البيت قائلًا : فيها معنى قوله تعالى في المستضعفين[٢]: { ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها } وقوله تعالى[٣] { وضاقت عليكم الأرض بما رحبت } .

تعليق الباحث لا ينسجم مع الشاهد مطلقًا، لأنَّهُ يدخل ضمن تناص الشعر الجاهلي مع القران الكريم[٤]، وذلك لأنَّ العرب لم يكونوا وثنيين بالمعنى المطلق، فهم يعرفون الله والأنبياء والرسل، والديانات السابقة لهم مثل الحنيفية واليهودية والنصرانية، والشعر الجاهلي حافل بالكثير من هذه الشواهد، وسأورد مثالًا واحدًا فقط على صحة ذلك هو قول الشاعر حاتِم الطائي[٥]:

أمَا وَالذي لا يعلم الغيبَ غيرُهُ

ويُحيي العظامَ البيضَ وَهِيَ رَميمُ

عندما ندقق النظر في قول حاتِم الطائي، سيتأكد لنا بما لا يقبل الشك أنَّ الرجلَ لم يكنْ مشركًا، ولم يكن وثنيًا، بل كان من الموحدين الأحناف الذين يؤمنون بالله وحده لا شريك له، والأحنافُ هم بقايا دين نبي الله إبراهيم الخليل (عليه السلام)، وهم

(١) ديوانه : ٦٧

(٢) سورة النساء، الآية : ٩٧

(٣) سورة التوبة، الآية : ٢٥

(٤) تناص الشعر الجاهلي مع القران الكريم ؛ بحث ألقيتُهُ في المؤتمر العلمي لكلية الآداب - جامعة تكريت لسنة ٢٠١١م.

(٥) ديوان حاتم الطائي : ١٨٤

يؤمنون بأنَّهُ لا يعلم الغيبَ إلا الله وحده، وأنَّهُ هو وحدهُ يُحيي ويُميت، شأنُهم في ذلك شأنُ أصحابُ الديانات السماوية الأخرى، والقرآن الكريم أكدَ هذا التناص في علم الغيب مع ما قاله حاتِم الطائي، وصدَّقهُ في قوله تعالى[١] { عالمُ الغيْبِ فلا يُظهِرُ على غيبهِ أحداً }، ولكنَّ اللافت للنظر هو الشطر الثاني من قول حاتِم الطائي الذي يتناص مع القرآن الكريم، ويتطابق معه تمامًا، فبعد أنْ نحذفَ كلمة ((البيض)) من الشطر، يصبحُ آية كريمة[٢]: {... قالَ منْ يُحيي العظامَ وهيَ رَميمٌ }، فذاك التطابق المطلق يؤكد أنَّ العربَ يعرفون الديانات السماوية ويؤمنُ بها كثيرٌ منهم، وحاتِم نفسهُ يقسمُ باللهِ قسمًا جازِمًا، وكأنَّهُ مسلمٌ، سمِعَ القرآنَ الكريم وحفظه، وآمنَ به، علمًا أنَّ حاتِمَ الطائي مات قبل الإسلام بأكثر من سبعين عامًا تقريبًا.

وهذا زُهير بن أبي سلمى شاعرُ الحكمةِ والسلام، وهو الآخر لم يدرك الإسلام، ولكنَّهُ يؤكد صحة ما قالهُ حاتِم الطائي، ويؤمن به، وذلك بعدَ ما مرَّ على شجرةِ عِضاةٍ مُخضرةٍ، وكان قد رآها قبل ذلك يابسة، فخاطبها قائلًا[٣]: (لولا أنْ تسُبني العربُ، لآمنتُ أنَّ الذي أحياكِ بعدَ يَبْسٍ، سَيُحْيي العظامَ وهيَ رميمٌ)، والسين التي جاءت في ((سيُحْيي)) هي لما يُستقبل من الزمان، سواءً كان قريبًا أم بعيدًا، ومنها نفهم أنَّ زُهيرَ بن أبي سلمى يؤمنُ بالبعثِ والنشور، وإحياء الموتى، والحساب، ومصداق ذلك قوله[٤]:

يُؤخرْ فيُوضعْ في كتابٍ فيُدخرْ
ليومِ الحسابِ أوْ يُعجلْ فينقمِ

(١) سورة الجن : الآية ٢٦
(٢) سورة يس : الآية ٧٨
(٣) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب : ٢/٢٧٧
(٤) شعره : ١٨

وبذلك وجدنا حاتِم الطائي، ومن بعده زُهير بن أبي سلمى يؤمنان بأنَّ الله سبحانه وتعالى، يُحيي الموتى يوم الحساب، وقد أكد زُهير هذه الرؤية مرة أخرى في قوله مخاطبًا بنيه[1]: (لولا أنْ تفندون، لسجدتُ للذي يُحيي الأرضَ بعد موتِها).

(١) جمهرة أشعار العرب : ١ / ٧٠

الفصل الرابع

لاميةُ الشنفرى في رثاءِ تأبّط شرا

في الميزان النقدي

لامية الشنفرى في رثاء تأبط شرا قصيدة يتجاذبها عدة شعراء، وكثُر الخلاف على صحتها ونسبتها، ولم يتفق العلماء والرواة والنقاد على نسبتها لشاعرٍ معين، فمنهم من قال : أنَّها للشاعر الجاهلي الصعلوك الشنفرى الأزدي، ومنهم من نسبها إلى الشاعر الصعلوك الأخر تأبط شرا، ومنهم من قال أنَّها منحولة، قالها خلف الأحمر، ونحلها للشنفرى الأزدي، وفي هذا البحث سأقوم - إنْ شاءَ اللهُ - بإجلاء الضبابية عن القصيدة، وأعزوها لقائلها الحقيقي بموجب المعطيات والأدلة المتوافرة أمامي، من خلال الأخبار والروايات التي روت القصيدة أو أجزاءٍ منها.

الشنفرى وتأبّط شرا شاعران جاهليان مشهوران : وهما من ذؤبان العرب، وصعاليكها وفتاكها، خلعهما قومهما لكثرة جرائرهما، وهما غنيان عن التعريف، أما خلف الأحمر فهو كبير رواة البصرة بعد أبي عمرو بن العلاء، فضلًا عن كونه من الرواة الرواد على حد وصف الدكتور ناصر الدين الأسد[1]، ولخلف الأحمر خصومٌ كثيرون، منهم من يتقاطع معه عرقيًا وعقائديًا، ومنهم يتقاطع معه سياسيًا، وسبق لي أنْ قدمتُ خلف الأحمر للمحكمة الأدبية في بحثني الموسوم بـ ((خلف الأحمر بين يدي القضاء الأدبي))[2]، وظهرَ من خلال المحكمة أنَّهُ بريءٌ من كلِّ التهم التي رُميَ بها وألصقت به، ومنها أنَّ اللامية هي للشنفرى، ولم يصنعها خلف الأحمر، ولم يعزُها لتأبّط شرا، ولا لغيره، وذلك لأنَّ لخلف الأحمر قصيدة لامية على ذات البحر والقافية والغرض، غيبها الرواةُ خوفًا من العباسيين، فقد ذكر الاخباريون أنّهُ حينما كان خلف الأحمر ينشد لاميتهُ في مربد البصرة، وهي في رثاء الإمام علي ابن أبي طالب وأولاده (عليهم السلام)، حضر الأصمعي بصورة مفاجئة، وكان الأصمعي يتقاطع عقائديًا وسياسيًا مع خلف

(١) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية : ٢٦٨

(٢) مجلة آفاق الثقافة والتراث : العدد ٣٩ لسنة ٢٠٠٥م

الأحمر، فضلًا عن كونهِ منحرفًا عن أهل البيت (عليهم السلام)[١]، فخافهُ خلف الأحمر، فتحول في إنشاده من لاميتهِ إلى لاميةِ الشنفرى، ومن هنا حدث الخلط والوهم بين الرواة، إلا أنَّي في ذلك البحث لم أقفْ على لامية خلف الأحمر المغيبة، إلا بعد حصولي على نسخة جديدة من كتاب حماسة شعر المحدثين للخالديين، والتي حُققت للمرة الثانية على نسخةٍ مخطوطة جديدة وفريدة، فضلاً عن النسخ المخطوطة الأخرى[٢]، وقد ضمت المخطوطة الجديدة بين طياتها لامية خلف الأحمر المُغيبة، وبذلك شمرتُ عن ساعدي، لأكتب هذا البحث، وأضع النقاط على الحروف، وأزيل الإبهام الذي حاط باللاميتين؛ وأعزو كلّ لامية إلى قائلها الحقيقي، ليأخذ كلّ ذي حقٍّ حقهُ، علمًا أنَّ خلف الأحمر لم يدخل إلى مجالس الخلفاء العباسيين، ولا إلى مجالس أُمرائهم وولاتهم، وقد بذلوا من أجل استقطابه مالًا كثيرًا، إلا أنَّهم لم يفلحوا في مسعاهم، إذ رفض خلف كُلَّ طلباتهم رفضًا قاطعًا؛ على الرغم من حاجته إلى المال، إلا أنَّه ترفع فوقها اعتزازًا بعقيدتهِ، وحفاظًا على دينهِ ومبادئه، فقد كان خلف الأحمر[٣]: (يختمُ القرآنَ الكريم في كلِّ يومٍ وليلةٍ، وقد بذل له بعضُ الملوكِ مالًا عظيمًا خطيرًا على أنْ يتكلم ببيت شعرٍ شكرًا فيهم، فأبى)، وبعض الملوك المقصود به الخلفاء العباسيين وأُمرائهم وولاتهم، عاصر خلف الأحمر الدولة العباسية منذُ تأسيسها وحتى وفاتهِ (رحمه الله) في خلافة الرشيد سنة ١٨٠هـ.

قتلت قبيلة هُذيل الشاعر الصعلوك تأبّط شرا في قصةٍ معروفةٍ[٤]، فقال الشنفرى يرثيهِ في قصيدته اللامية ذات المطلع[١]:

---

(١) حماسة شعر المحدثين: ٢/٢٨٧، الإصبعيات: ١١

(٢) حماسة شعر المحدثين بتحقيق د. خالد أحمد الملا السويدي لسنة ٢٠١١م.

(٣) المزهر: ٢/٤٠٥

(٤) الاشتقاق: ٢٦٣

إنَّ بالشِعبِ الذي دونَ سَلعٍ لقتيلاً دمهُ ما يُطلُ

خلط الرواة الشعر العربي القديم، وأصحاب الاختيارات الشعرية خلطًا عجيبًا وغريبًا في نسبة هذه اللامية المشهورة، فشرقوا وغربوا، وكلّ روى حسب هواهُ، وما أملتهُ عليه ثقافته، ومعتقده الديني والسياسي، فتقاطعت الآراء واختلفت الأهواء، وبالمحصلة النهائية لم يتفقوا على رواية واحدة، ولعلَّ سبب هذا الاختلاف والتقاطع، يعود إلى قصيدة خلف الأحمر المُغيبة نفسها، خوفًا من السلطة العباسية من ملاحقةِ رواتها، لأنَّ القصيدة كانت في رثاء أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب وأولاده (عليهم السلام)، والعلويون كانوا خصومًا للعباسيين، ومن أشد المعارضين لحكمهم، ولأسبابٍ سياسية ودينية غُيبت القصيدة، وسوف أقف على الروايات كافة التي روت اللامية، ولمن عزتها، وذلك لمناقشتها ومعرفة ما تخفي بين طياتها، والحكم بعد ذلك على صحة اللامية، ونسبتها إلى شاعرها الحقيقي، وإعطاء كل ذي حقٍ حقه، وبعد المناقشة سوف أكتب لامية خلف الأحمر المغيبة، كما قالها، ورواها عنهُ الصولي عن أبي العيناء عن العتبي[٢]، ليطلع عليها الباحثون والقراء، وسأبدأ بذكر النصوص وتصنيفها حسب عزوها للقصيدة، وتقسيمها على أربعة أقسام، هي كما يأتي :

١- المصادر التي روت اللامية أو أجزاءٍ منها وعزتها للشنفرى وهي :

- حماسة شعر المحدثين للخالديين : ٢/ ٢٨٥

(١) ديوان الشنفرى : ١١٧ – ١٢٠

(٢) حماسة شعر المحدثين : ٢/٢٨٦ - ٢٨٧

- تاج اللغة وصحاح العربية - قال ابن بري : القصيدة للشنفرى ابن اخت تأبّط شرا، مادة : سلع، وعاد ليؤكد صحة ذلك في اللسان مادة سلع قائلًا : البيت للشنفرى ابن اخت تأبط شرا، بدلالة قوله في آخر القصيدة :

فاسقنيها يا سوادُ بن عمرو إنَّ جسمي بعد خالي لخلُّ

يعني خاله تأبط شرا فثبت البيت لابن أخته الشنفرى.

- أمالي الشريف المرتضى : ٢/ ١٨٥
- المثلث وقد رواها ثلاث مرات : ٣٦٦/١ ؛ ٤٨٦/١ : ٢٤١/٢
- ابن منظور في اللسان : مادة سلع : للشنفرى
- سمط اللآلئ - للشنفرى، وقيل لخلف الأحمر ونسبت لتأبّط شر : ٩١٩/٢
- خزانة الآدب ولب لباب لسان العرب : ٣/ ٤٥٣٢، للشنفرى

من يطلع على هذه المصادر يجد أنَّ رواتها ومؤلفوها يتطابقون مع خلف الأحمر عقائديًا وسياسيًا ؛ وهم جميعًا من الموالين لأهل البيت وأنصارهم، ومؤيدين للعلويين، ومناهضين للعباسيين، وبذلك هم جميعًا مطلعين على لامية خلف الأحمر المُغيبة عن الرواة الآخرين، وقد أحسن الخالديان صُنعاً حينما رويا قصة اللامية وخبرها كاملة، وبسبب إطلاع هؤلاء الرواة على لاميتي الشنفرى وخلف الأحمر، نسبوا اللامية للشنفرى، وهم واثقون من صحة النسبة، أما فيما يتعلق في رواية البكري، فإنَّه ينسبها للشنفرى، ولكنه يتحرز فيقول : وقيل لخلف الأحمر ونسبت لتأبّط شرا، والعربية تقول : إنَّ الفعل (قيل) يسمى فعل التمريض، أي أنَّهُ يحمل نسبة كبيرة من الشك في صحة الرواية، والبكري كان قريبًا من بلاط العباسيين ومجالسهم، ويعمل في دواوينهم، لذلك كان حذرًا

من التصريح المباشر بنسبة اللامية للشنفرى، فعزاها عائمة لكي يتخلص مما يتعرض له من ضغوطٍ وإحراجٍ، وأما مطلع لامية خلف الأحمر المُغيبة فهو[1] :

قدكَ مني صارمٌ ما يُفلَلُ وابنُ حزمٍ عقدُهُ لا يُحلُّ

ونلحظ في هذه المجموعة أنَّ ابن بري قد قطع بروايته الطريق على من يشكك بصحتها، فمن قال أنها لأبن أخت تأبط شرا، فقد صدق لأنَّ الشنفرى هو ابن أخت تأبط شرا.

٢- المصادر التي روت اللامية أو أجزاءٍ منها، وعزتها لخلف الأحمر، والتي تتهمه بنحلها تأبّط شرا، وهي كما يأتي :

- الشعر والشعراء : لخلف الأحمر ونحلها ابن أخت تأبّط شرا.
- طبقات ابن المعتز، قال دِعْبل الخزاعي : قال لي خلف الأحمر، وقد تجارينا في شعر تأبط شرا، وذكر قوله :

إنَّ بالشِعبِ الذي دونَ سَلعٍ لقتيلاً دمهُ ما يُطلُ

أنا والله قلتها، ولم يقلها تأبّط شرا

- أنباه الرواة لخلف الأحمر نحلها تأبّط شرا
- معجم ما استعجم : وقال ابن اخت تأبط شرا
- معجم الأدباء : قال الحاتمي قالها خلف الأحمر ونحلها ابن أخت تأبّط شرا
- تاج العروس، قال المبّرد : هي لخلف : مادة :سلع

(١) حماسة شعر المحدثين : ٢/ ٢٨٧

- العقد الفريد لخلف الأحمر نحلها ابن أخت تأبّط شرا : ٥/ ٢٨٠ ؛ أما في رواية العقد الفريد طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر : ٣٥٢/١ و ٢٩٨/٣ و ٣٠٧/٥ قالها تأبط شرا، ولم تشر الرواية إلى وجود خلف الأحمر فيها !

عندما نسلط الضوء على هذه الطائفة من الرواة والمؤلفين سنجدهم جميعًا ممن يرمون خلف الأحمر بالوضع، ويتهمونه بالنحل والانتحال، وهم جميعًا يقفون بالضد منه، لأنَّهم يتقاطعون معه عقائديًا وسياسيًا، باستثناء رواية ابن المعتز التي روت الخبر على لسان دِعْبل الخزاعي الذي حُشِرَ اسمهُ في الرواية افتراءً، لعلهُ يزيد من قوة التهمة، والرواية هي من صُنع ابن المعتز نفسهُ، والذي أخرج نفسه من الرواية وخبرها، وعزاهُ لدعبل لكي يُعمي الخبر على القراء، وذلك لأنَّ ابن المعتز من السلطة العباسية، وممن يضمرون الحقد والكراهية لدِعْبل الخزاعي بسبب تائيتهِ المشهورة في رثاء آل البيت (عليهم السلام) والتي أنشدها بين يدي الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، وأنَّي أرجح أنَّ دِعْبلًا لم يقل ذلك، وهو بريء من هذه الرواية، لأنَّهُ يتفقُ عقائديًا وسياسيًا مع خلف الأحمر، وهو لم يلتقِ ابن المعتز مطلقًا، لآنَّ ابن المعتز وُلِدَ بعد وفاة دِعْبل، علماً أنَّ دِعْبل كان هاربًا من بطش العباسيين، لأنَّهُ كان يرى أنَّ بني العباس قد اغتصبوا الخلافة من العلويين، وبالمقابل فأنَّ العباسيين قد أهدروا دمه، ولاسيما بعد هجائه للمعتصم، جَدّ ابن المعتز[١]، وأنَّ دِعْبل الخزاعي يعرف أنَّ اللامية للشنفرى وليس لغيره، ثم منْ هو الذي روى الخبر لأبن المعتز ؟ والراجح عندي، وعبر رواية الصولي عن أبي العيناء عن العتبي والتي قال فيها[٢]: (والله ما قال أبو محرز خلف من هذه القصيدة بيتًا واحدًا، وما هي إلا للشنفرى، وكان لها خبر طريف، لم يبق من يعرفه غيري..... قال أبو العيناء :

(١) حماسة شعر المحدثين : ٢ / ٢٨٧

(٢) ديوان دعبل الخزاعي : ٥٨ - ٦٣

فسالنا العتبي شعر خلف الذي ذكر فيه أهل البيت (عليهم السلام)... فأنشدنا من المديد:

قدكَ مني صارمٌ ما يُفلَلُ وابنُ حزمٍ عقدُهُ لا يُحَلُّ)

الحق أنَّ معظم هؤلاء الرواة لم يطلعوا على لامية خلف الأحمر، ذلك لأنَّ مديح العلويين ورثاءهم كان محظورًا على الشعراء والرواة، روايته وتداوله، وبما أنَّ هؤلاء الرواة كانوا من الموالين لسياسة الدولة العباسية ، وممن يؤيدون حكمها، لذا فقد عُميت عليهم لامية خلف حذرًا منهم، وخوفًا من وشايتهم، فهم لم يرَوْها ولم يسمعوا بها، لأنَّها كانت مُغيبة عنهم، وفي طي الكتمان، وسبق لخلف الأحمر أنْ تنبه إلى هذه النقطة المهمة فقال[1]: (والله لو سمع الأصمعي بيتًا من هذا الشعر الذي كنتُ أنشدتكموه ما أمسي أو يقوم خطيبًا على منبر البصرة فيتلفُ نفسي).

٣- المصادر التي روت اللامية أو أجزاءٍ منها وعزتها لتأبّط شرا فهي:

- الحيوان للجاحظ : لتأبّط شرا إنْ قالها : ٣/ ٦٩
- شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، قال تأبّط شرا وقيل لخلف الأحمر : ٨٢٧، أما في ديوان الحماسة بشرح المرزوقي وبتحقيق أحمد أمين، لابن أخت تأبط شرا، وقيل هي لخلف ومما يدل على أنها لخلف قوله فيها : ((جلَّ حتى دقَّ فيه الأجل)) فقال : إنَّ الأعرابي لا يتغلغل إلى مثل هذا، أما أبو الندى فقد قال : مما يدل على أنَّ هذا الشعر مولد، أنَّهُ ذكر سلعًا وهو بالمدينة، وأين تأبط شرا من سلع، وإنَّما قُتل في بلاد هُذيل، ورمي به في غارٍ، يقال له رخمان وفيه تقول أخته :

نعم الفتى غادرتم برخمان بثابت بن جابر بن سفيان

(١) حماسة شعر المحدثين : ٢/ ٢٨٦ - ٢٨٧

- شرح ديوان الحماسة للتبريزي، قال تأبّط شرا، والصحيح خلف الأحمر : ٣٤١
- الحماسة البصرية : ٢/ ٨٢٧ لتأبط شرا والصحيح لخلف الأحمر.
- تاج العروس لابن أخت تأبّط شرا أو تأبّط شرا : مادة :سلع

هؤلاء الرواة متذبذبون بين الشك واليقين، ويعرفون حقًا أنَّ اللامية هي ليست لخلف الأحمر، وعزوها لتأبّط شرا على استحياءٍ، وإنْ كنت أراهُم واهمين فيما ذهبوا إليه، لأنَّهم كانوا يتأرجحون بين الشك واليقين، لذلك لم يقطعوا بصحة ما قالوا، فالجاحظ يرويها لتأبط شرا ؛ ولكنه يشك في صحة النسبة، ولم يقل صنعها خلف الأحمر ونحلها تأبط شرا، لأنَّهُ معتزلي المعتقد القريب من معتقد خلف الأحمر، لذا فقد ذيل رأيهُ بقولهِ : إنْ قالها، أما المرزوقي بعد أنْ عزا اللامية لتأبّط شرا، عاد ليستدرك على نفسه بقوله : وقيل لخلف الأحمر، مستخدمًا فعل التمريض (قيل)، ونحن نعرف أنَّ فعل التمريض فيه نسبة الشك عالية جدًا، تجعلهُ غير مقبول، وغير معول عليه في الأحكام، فجعلها متدافعة، وأما قوله : ((جلَّ حتى دقَّ فيه الأجل، فإنَّ الأعرابي لا يتغلغل إلى مثل هذا))، فهو مردود البته فقد وصلت اللغة في العصر الجاهلي إلى قمة ذروتها، بدلالة أنَّ الله سبحانه وتعالى تحدى العرب بلغتهم، وهي أرفع ما يملكون، فالأعرابي الذي يفهم معاني القرآن الكريم العميقة، ألا يفهم معاني الشعر ؟ والشعر هو ديوان علم العرب، أما قول أبو الندى : مما يدل على أنَّ هذا الشعر مولد، إنه ذكر سلعًا وهو بالمدينة، وأين تأبط شرا من سلع، وإنَّما قُتل في بلاد هُذيل ورمي به في غار يقال له رخمان وفيه تقول أخته :

نعم الفتى غادرتم برخمان بثابت بن جابر بن سفيان

عند العودة إلى كلمة ((سلع))، سنجدها في معجمات اللغة العربية تعني الشقُّ في الجبل، والجبال على العموم فيها تشققات وتسلعات، وليست سلع مقصورة على جبال مكة فقط، أي أنَّ سلع موجودة في الجبال كافة[١]، والشاعر لم يقصد موضع مقتل تأبط شرا، بل أراد انّهُ قُتل في مكان ضيق، عزَّ عليه الفرار والتخلص من خصومه، فوقع في فخ خصومه وقُتل، وبذلك بطلت حُجة أبو الندى.

المرتضى الزبيدي جعلها متدافعة بين تأبّط شرا وابن أخته ؛ لأنَّ الرجل بعيد زمانًا ومكانًا عن الجو اللاميتين، فهو لم يكن واثقًا من صحة ما يروي، فجعلها متدافعة بين ابن أخت تأبّط شرا وتأبّط شرا ليُخْرِجَ نفسهُ من المأزق إنْ لم تكن الرواية صحيحة، وأما التبريزي حينما قَدِمَ على شرح ديوان الحماسة، وجد اللامية معزوة لتأبّط شرا، وأراد أنْ يكون له موضع قدم في الرواية، وذلك من خلال النيل من خلف الأحمر الذي يقاطعه عقاديًا، فأقحم خلف الأحمر في الرواية تأييدًا لمن سبقهُ من الرواة المغرضين والمنحرفين، علمًا أنَّ التبريزي يعرف أنَّ اللامية ليست لتأبّط شرا، ولكنه أخذ بروايتي النمري وأبو الندى، وهما ممن يشكك بروايات خلف الأحمر، فقال قولة المتأكد من نفسه أنَّ اللامية لخلف الأحمر، وقوله هذا زورٌ وبهتانٌ[٢].

٤- **المصادر التي روت اللامية لغير ما ذكرنا فهي :**

- مجمع الأمثال لابن أخت تأبّط شرا : ١/ ٣١٩
- الطرائف الأدبية للشنفرى أو تأبّط شرا أو الهجال ابن أخت تأبّط شرا : ٣٩

(١) حماسة شعر المحدثين : ٢ / ٢٨٧

(٢) لسان العرب ؛ مادة : سلع

انفرد الميداني في نسبة القصيدة لابن أخت تأبّط شرا وحده، وهو يعرف أنَّ الشنفرى هو ابن أخت تأبط شرا، ولم يقل بهذا الرأي غيره، أما صاحب الطرائف الأدبية، فكان أكثر الرواة تخبطًا، فهو لم يقف على أرض صلبة تتيح له رؤية واضحة، فهو متأخر زمانًا ومكانًا، وسمع روايات متعددة ومتقاطعة، بعضها ينقضُ البعض الآخر ويكذبه، فقال بنسبتها للجميع، من غير أنْ يكون له رأي، وغير متأكد من صحة ما يقول.

وبذلك وقفت على ثلاثة وعشرين مصدرًا ذكرت القصيدة أو أجزاءٍ منها، ووجدت أنَّ هذه المصادر لا تتفق فيما بينها على رأي معين يُمكن أن يزيل اللبس والغموض، ويقرب بين وجهات النظر المتقاطعة والمشتبكة، ويؤكد أنَّ القصيدة صحيحة النسبة للشنفرى، لا غبار عليها، وبالمحصلة النهائية تأكد لنا بما لا يقبل الشك أنَّ بعض الرواة أدوا دورًا سلبيًا كبيرًا في نسبة كثير من الشعر العربي لغير قائليهِ، وكانت لهم حصة الأسد في معضلة النحل والانتحال والوضع، وذلك لضمائرهم الميتة، ونفوسهم المريضة.

رأي أبي تمام الطائي : قبل التحول إلى المحدثين لنا وقفة مع الشاعر الكبير أبي تمّام الطائي، وهو من كبار رواة الشعر في عصره، فقد عزا أبو تمّام اللامية للشنفرى في مجلس الحسن بن رجاء، فقد روى الصولي عن الغلابي فقال[1]: (قال لي أبو تمّام حبيبُ بن أوس : دخلتُ على الحسن بن رجاء ؛ فقال لي : يا أبا تمّام رأيتُ فيما يرى النائم، كأنَّ إنسانًا يقول شعرًا ما أعرفهُ، وقد حفظتهُ، قلتُ : أنشدنيهِ، فأنشدني :

يكفيكَ الذي أمسيتَ فيهِ سيوفٌ في عواتِقِها سيوفُ

فقلتُ : أظنُّ أنَّ الأميرَ يحفظ قول الشنفرى :

كلُّ ماضٍ قد تردى بماضٍ كسَنا البرقِ إذا ما يُسلُ

(١) ديوان الحماسة بشرح التبريزي : ٢/ ٣٤٢ - ٣٤٧

قال : نعم، أنا أروي هذا الشعر، فقلتُ : هذا البيت مثل ما رأيت، وبيت الشنفرى وَلَّدَهُ لفكرك)، ورواية أبي تمّام هذه تدحض ما رواه نساخ ديوان الحماسة وشراحه ، من أنَّ اللامية لتأبّط شرا أو غيره.

أبو تمّام ممن يروي شعر الشنفرى، وقد اختار من شعره قطعة في ديوان الحماسة[1]، وبذلك هو مطلعٌ على شعر الشنفرى، وأبو تمّام لا يقول إلا بما يعرف، وعند العودة لديوان الحماسة، وجدنا أنَّ اللامية معزوة لابن أخت تأبّط شرا، وابن اخت تأبط شرا هو الشنفرى، وفي الوقت نفسه ذكر أنَّها لخلف الأحمر،الشطر الأخير من الرواية بريءٌ منه أبو تمّام، فقد عزا القصيدة للشنفرى في مجلس الحسن بن رجاء كما مرَّ قبل قليل، وقبل تفنيد هذه الرواية، علينا أنْ نعترف أنَّ العنوانات الجانبية هي من صناعة النُساخ، ولنا وقفة معهم، ففي الهامش الأول قال المحقق : لم ترو ابن أخت في (م، ت)، فيكون الشعر على هذا لتأبّط شرا، وفي الهامش الثاني قال المحقق : ما بعده لم يرو في (م) وتفردت به هذه الرواية، وإذا علمنا أنَّ المحقق حقق الديوان على نسخة فريدة لا أخت لها [2]قد اعتمد في التحقيق على شرح المرزوقي المُرَمَزُ له بـ (م) وشرح التبريزي المُرَمَزُ له بـ (ت) فضلًا عن مختصرين للشرحين، وكذلك استفاد من مخطوطة الموصل وهي برواية أبي الرياش، وقد قال المحقق : وجدت خلافًا في نسبة قسم من الحماسيات عما جاء في الروايتين المذكورتين، وأضاف قائلًا : إنَّ كثيرًا من الحماسيات قد صُدرتْ بأقوالٍ منها ما يرجع إلى أبي تمّام، ومنها إلى أحد رجال سند روايتها) وهذا ما ينسحب على لامية الشنفرى وتدافعها بين ابن أخت تأبّط شرا (الشنفرى) وخلف الأحمر على وفق روايتي المرزوقي والتبريزي، والحق والعدل يقتضي أنْ نقول : ما كان

(١) ديوان الحماسة : ٢٣٢

(٢) ديوان الحماسة : ٧ - ١٥

متدافعًا بين القدماء وعدم اتفاقهم على رواية موحدة، يجعلنا في شكٍ من صدقِ نوايا بعضهم، ولا نعمم.

رأي المحدثين : أما المحدثون فكانت لهم رؤية علمية أوضحُ من الذين سبقوهم، وذلك لأنَّهم اطلعوا على الروايات كافة، ودرسوها بروحٍ علمية منهجية، وإنْ اختلفوا فيما توصلوا إليه من حكم، فهم كانوا أقرب إلى الصواب، بل بعضهم على الصواب مائة بالمائة.

الدكتور ناصر الدين الأسد رجح أنَّ القصيدة للشنفرى، وقال : أنَّها ليست منحولة، وذلك من خلال دراسته للروايات المختلفة في كتابه الموسوم مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية [١]، ولو وقف الدكتور ناصر الدين الأسد على نص قصيدة خلف الأحمر، لما توانى لحظة واحدة في الحكم على صحة نسبة القصيدة للشنفرى.

أما الدكتور يوسف خليف فقد قال : القصيدة ليست لأحدٍ من الشعراء الصعاليك وذلك من خلال دراسته للشعراء الصعاليك. في كتابه الموسوم الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي[٢]، وهذا رأيهُ ونحنُ نحترمهُ، وإنْ لم نقتنع به.

والدكتور علي ناصر غالب قرر أنَّ القصيدة هي للشنفرى، وذلك عبر رؤيتهِ المنهجية العلمية الصحيحة، وذلك من خلال تحقيقه لديوان الشنفرى الأزدي[٣].

أما من تكفلوا بجمع شعر تأبط شرا وتحقيقه، فلم أجد لهم رأيًا واضحًا وصريحًا في القصيدة بل اكتفوا برواية القصيدة، وبما قاله الآخرون، وهذا من عيوب التحقيق،

(١) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية : ٤٥٨ – ٤٦١

(٢) الشعراء الصعاليك : ١٧٤ – ١٧٧

(٣) ديوان الشنفرى : ٣٠ - ٣١

فنلحظ في طبعات العقد الفريد اختلافًا كبيرًا في الروايات، فالمحقق الدكتور محمد التونجي يتهم خلف الأحمر، بأنه قالها ونحلها ابن أخت تأبط شرا، في حين طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ذكرت القصيدة، وقالت : قالها ابن أخت تأبط شرا (الشنفرى)، ولم تشر الرواية إلى وجود خلف الأحمر فيها، لا من قريب ولا من بعيد، فمن أين جاء الدكتور التونجي بخلف الأحمر وحشره في الرواية ؟ علمًا أنَّ اللجنة أوثق من التنوجي، وهذا ما يدلل بل يؤكد تلاعب بعض المحققين بالألفاظ لأسباب مضمرة في نفوسهم.

وفي المحصلة النهائية، وبعد استعراض الآراء المختلفة القديمة منها والحديثة، بشأن لامية الشنفرى، واستقراء آراء الأساتذة المختصين، وبعد وقوفي على لامية خلف الأحمر المغيبة، أقول أنا الدكتور عبداللطيف حمودي الطائي: إنّ القصيدة لم يصنعها خلف الأحمر، ولم ينحلها الشنفرى أو تأبّط شرا، وهي ليست لتأبّط شرا، أو غيره كما تزعم بعض الروايات، بل هي للشنفرى ، ومن صحيح شعره.

أسباب اختلاف الرواة في نسبة اللامية : ولعل القارئ والباحث الكريم يتساءل عن السر في هذا الخلط العجيب بين العلماء والرواة في نسبة لامية الشنفرى لخلف الأحمر واتهامهم إياهُ بنحلها وهو بريءٌ من التهمة، فنقول : يعود ذلك للأسباب الآتية، فضلًا عمّا قلناه في مناقشة الرواة :

١- عدم وقوف معظم الرواة على لامية خلف الأحمر المغيبة، وذلك لكونها في رثاء العلويين المناهضين للعباسيين والمعارضين لحكمهم.

٢- الاحتقان الطائفي بين الرواة أنفسهم، وخوف بعضهم من بعض، جعلهم في تحرز شديد عند التطرق الى لامية خلف الأحمر، خوفًا من الوشاية والملاحقة والقتل والتشريد من الرواة المندسين من أصحاب النفوس المريضة والضمائر الميتة.

٣- التقاطع السياسي بين العلماء والرواة في الولاء للعباسيين والعلويين.

٤- إنَّ من عزا القصيدة الى ابن أخت تأبط شرا، فقد عزاها للشنفرى من حيث لا يعلم، ذلك لأنَّ ابن أخت تأبط شرا هو الشنفرى الأزدي نفسه.

٥- كان الأصمعي هو السبب الرئيس في تغييب لامية خلف الأحمر، وذلك لأنَّهُ كان من الموالين للعباسيين والمنحرفين عن أهل البيت، في حين كان خلف الأحمر من المناصرين للعلويين والمناهضين للعباسين، ولما فاجأ الأصمعي الجمع الذين كانوا يستمعُون لخلف الأحمر في أثناء انشادهِ للاميته، اضطر خلف الأحمر للعدول عن لاميته والتحول إلى لامية الشنفرى خوفًا من وشاية الأصمعي المنحرف عن أهل البيت عليهم السلام، لأنَّ الأصمعي لو سمع لامية خلف الأحمر سيشي به الى العباسيين، ويهدر دمه.

٦- التشابه المطلق بين القصيدتين اللاميتين من حيث الوزن والقافية والغرض، فالقصيدتان من بحر المديد، وعلى قافية اللام، وفي غرض الرثاء، إلا أنَّ لامية الشنفرى كانت تتكون من ثمانٍ وعشرين بيتًا، في حين كانت لامية خلف الأحمر تتكون من سبعٍ وأربعين بيتًا.

٧- والآن وبعد وقوفنا على لامية خلف الأحمر المغيبة، لابدَّ أنْ يعود الحق إلى صاحبه، وتنسب كلّ لامية إلى قائلها، تطبيقًا للأمانة العلمية، وليعرف الباحثون والدارسون أنَّ خلفًا الأحمر لم يصنع القصيدة، ولم ينحلها للشنفرى أو تأبّط شرا أو غيرهما، وهو براءٌ من تلك التهمة الباطلة.

لامية خلف الأحمر المغيبة : والآن لنقف على لامية خلف الأحمر في رثاء الإمام علي بن أبي طالب وأولاده (عليهم السلام) كما رواها العتبي في حماسة شعر المحدثين للخالديين [1] فقد قال خلف الأحمر :

من البحر المديد

١- قدكَ مني صـــارمٌ ما يُفلَلُ وابنُ حـــــزمٍ عقدُهُ لا يُفَلُّ

٢- ينثني باللَّومِ مـــن عاذليهِ ما يُبـــــالي أ كثروا أم أ قلوا

٣- لرســـولِ اللهِ في أقـــربيـهِ وبنيـــــهِ حيثُ ساروا وحلوا

٤- عِندهُ مكنونِ نُصـــحٍ ووِدٍّ خالـــصٍ لم يَقتدَحْ فيهِ غلُ

٥- أهلُ بيتٍ ما على جاحديهم حقَّهُـــم في الزُّبرِ ألا يضـــلوا

٦- صفـــوةُ اللهِ الأُلى من لدُنهِ لهـــمُ القـــدْرُ الأعـــزُ الأجلُ

٧- ما أطاعَ اللهَ قـــومٌ تولَّوْا من سِواهُم بل عصَوْهُ وضَلَّوا

٨- وبهم شُقَّ دُجى الغَيِّ عنهُم وعلى الإيمـــانِ والدينِ دُلُّوا

٩- وبهم صُبَّتْ على كـــلِّ باغٍ باذخِ العـــــزِّ صَغارٌ وَ ذُلُّ

١٠- غَصَبُوهُم حقَّهُم واستحلوا ظالموهُـــــم منه ما لا يحلُّ

١١- واقتدوْا بمـــا سَنَّ رِجسٌ بـــارزَ اللهَ زنيـــمٌ عتُـلُ

(١) - حماسة شعر المحدثين : ٢: ٢٨٧ – ٢٩٠

١٢- لم يُراقِبْ خشيةَ اللهِ فيهم لا آصـــرٌ مِنهُ ولم يـرعَ إلُّ

١٣- فَهم شتى قتيـــلٌ صريعٌ دمُهُ فيهـــم حِـــذاراً يُطـلُ

١٤- وأسيـــرٌ في طِمـــارٍ عـليـهِ من حديـــدِ القينِ كبْلٌ وغُلُّ[1]

١٥- ومقيـمٌ خـــاشِعٌ في عـدُوٍّ مُستـــظامٌ بينهـــم مستـذلُ

١٦- لا على جُرمٍ ولا عنْ شـقاقٍ رَكِبوا الحضَ إليهـــم فزلُّوا

١٧- غَيرَ أنْ فـــاءَ على ظالميهم بهـــم للمُـــلكِ فـــيءٌ وظِـلُ

١٨- وأنْ أوفوا بالنبي المُصطـفى جدَّهـــم مـــأثـــرةً لا تقِـلُ

١٩- وبَنى اللهُ لهـــم بيـتَ مجـدٍ فطـــــرةَ الدينِ بهِ تستظلُ

٢٠- في جميـــلٍ بـــاركَ اللهُ فيـهِ لم ينـــلْ ما خُوَّلوهُ جِبـــــلُ

٢١- وارثـــو مخزونِ علمٍ عليهِ كلُّ ذي علـمٍ عِيـــالٌ وكَـلُ

٢٢- وعليٌ ذو المعـــــالي أبوهُمُ كرُمَ السّـــــامي بهِ والمُدلُ

٢٣- علِّمَ الديـــن الذي من تلاهُ سالكُ سبلَ الهدى لا يضِلُ

٢٤- وأمير المؤمنـــين المـــرجّي فضـــلهُ مُثـــريهـــمُ والمقِـلُّ

٢٥- باســـطٌ كفيهِ فيهم بعـدلٍ وصَبيـرٍ صوبـــــهُ مستهـلُ

٢٦- عن سمـــــاءٍ لهم كلَّ يـومٍ دِيمـــةٌ مـــــنهُ ووبْلٌ وطـلُّ

---

(١) - أسيرٌ في طمارِ: هو الإمام موسى بن جعفر(ع) في سجن الطامورة ببغداد في خلافة الرشيد.

٢٧- وشِـــهابُ اللهِ في كـلِّ خطبٍ وحُســـــامُ اللهِ والنَّقعُ يعـلو

٢٨- حيثُ يلقى في ظلالِ المنايـا كلَّ ليثٍ باســـلٍ وهـــوَ فـلُّ

٢٩- جسـدٌ يعفـرهُ طيرٌ عكـوفٌ ضـــوارٍ شـــرَّعٌ فيـــهِ زلُّ

٣٠- مَكنزٌ فيـــهِ من بعـــدِ حولٍ للضبّبـــاع العُرجِ لحمٌ مصلُ

٣١- بطـــلٌ أغـــلبٌ في راحتيـهِ للقنـــا والبيضُ نهلٌ وعـلُّ

٣٢- يكرهُ الأبطالُ منـهُ ابـنَ موتٍ لا يَملُّ الحـــربَ حتى يَملوا

٣٣- يحمدُ العضبُ اليماني شظاهُ في الوغـــا والسمـهري المتلُ

٣٤- فكـأنَّ النقـــعَ ينشـامُ عنـهُ ضيغـمٌ جهـــمُ المُحيا رَفِـلُّ

٣٥- قد غدا يُضـمِرَ بُغضاً ويبدي بِغضـــةٍ أضغانُها لا تُسَـلُّ

٣٦- شاورِ النكـــــراء في الله منه شائِـكُ الأنيابِ يقظانُ صلُّ

٣٧- لا الرُّقى تـــــردَعُ منه ولا من مـــسَّ حدَّ النابِ منه يُبـلُّ

٣٨- موطِـــنٌ من عهدِ لقمانَ عادٍ دونـــهُ من قُلُل الحَزنِ تلُّ

٣٩- متحـــامٍ لا يـــــؤدي إليـهِ نبُسَ الإنـــسِ ولا الجنِّ حلُّ

٤٠- كيَبـــسِ الجَزْل إلا فَحيحاً يَصـــــهرُ المرءَ بهِ أو يملُّ

٤١- لو مضـــتْ عاليةٍ الرُّمحِ فيه ما تغـــشى الليط منه مُبِلُّ

٤٢- أو نمـــــتْ أذرُعُ ألــفٍ إليـه رجعـــتْ عن نفثه وهي شلُّ

٤٣- كلمـــا مدَّ المطـا وتمـــطى فحصى المعـــزاءِ منه يُصلُّ

٤٤- عـــــدْ إلى مدحِ الذينَ عليهم من يمين الله ظِـــلٌّ فظِـلُّ

٤٥- خيرُ من خبـــتْ بهم ذاتُ لوثٍ دامياً للجبهـــــدِ منها الأظلُّ

٤٦- في مهـــــــادي ذبل كالسعالى تحت شُعثٍ قد أكلوا وكلوا

٤٧- عامدي الكعـــبةِ من كلِّ فجٍّ كلما أعـرضَ شخصٌ أهلوا

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- أبو عمرو الشيباني – د. رزوق فرج رزوق، مطبعة المعارف، ١٩٦٨م، بغداد.
- أخبار أبي نؤاس – لابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري المصري، تحقيق شكري محمود أحمد، مطبعة المعارف، ١٩٥٢م، بغداد.
- أسرار البلاغة . الشيخ الإمام عبدالقاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تحقيق هـ ريتر، دار المسيرة للصحافة والطباعة والنشر، ط ٣، ١٤٠٣هـ .١٩٨٣م، بيروت.
- الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين – أبو عثمان سعيد بن هاشم، وأبو بكر محمد بن هاشم، تحقيق محمد يوسف، ١٩٥٨م، القاهرة.
- الاشتقاق – لابن دريد، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- الأصمعيات – عبدالملك بن قريب الأصمعي، تحقيق أحمد محمد شاكر، عبدالسلام هارون، ط ٤، دار المعارف بمصر.
- أعجب العجب في شرح لامية العرب – لفخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، ط٣، طبعت على نفقة محمود أحمد، بنظار الأشغال بمصر، ١٣٢٤هـ.
- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين – خيرالدين الزركلي، ط٣، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م.
- الأغاني – أبو الفرج الأصفهاني، طبعة دار الكتب ثم الهيأة العامة للكتاب، ١٩٦٣-١٩٦٧م، القاهرة.

الأغاني - لأبي الفرج الأصفهاني (٣٥٦هـ)، مصورة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة العربية العامة للتأليف والترجمة والطبع والنشر، القاهرة.

- الأمالي – أبو علي القالي، لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الجيل، دار الآفاق الجديدة، ط ٢، ١٩٨٧م، بيروت.

- أمالي المرتضى – الشريف المرتضى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، ١٣٧٣هج ١٩٥٤م، مصر.

- إنباه الرواة على أنباه النحاة – جمال الدين القفطي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٩٨٠م، القاهرة.

- البرصان والعرجان والعميان والحولان – الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، مؤسسة الخانجي، ط٣، القاهرة.

- البيان والتبيين – الجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، ١٣٦٨هج- ١٩٤٩م، مصر.

- بلوغ الأرب في شرح لامية العرب – جمع وتحقيق محمد عبدالحكيم القاضي و محمد عبدالرزاق عرفان.

- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب – محمود شكري الآلوسي (ت١٢٧٠هـ)، شرح وتصحيح محمد بهجة الأثري، ط٣، (د.ت).

- تاج العروس من جواهر القاموس – المرتضى الزبيدي، ط ١، ١٣٠٦هـ، مصر.

- تاج اللغة وصحاح العربية – إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد العطار، ١٩٥٦م، القاهرة.

- تاريخ آداب العرب – مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، ط٤، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، بيروت.

- تاريخ الأدب العربي – د. ريجسير بلاشير، تعريب د. إبراهيم الكيلاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت).

- تاريخ الأدب العربي – كارل بروكلمان، ترجمة عبدالحليم النجار، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٦٨م.

- تاريخ الشعر العربي حتى نهاية القرن الهجري الثالث - نجيب البهبيتي، مؤسسة الخانجي، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م، القاهرة.

- التلخيص في معرفة أسماء الأشياء – أبو هلال العسكري الحسن ابن سهل (ت٣٩٥هـ)، تحقيق عزة حسن، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦٩م.

- تناص الشعر الجاهلي مع القرآن الكريم – أ. د. عبداللطيف حمودي الطائي، منشور في مجلة آداب الفراهيدي، كلية الآداب - جامعة تكريت، العدد الخاص بمؤتمر الآداب الخامس، لسنة ٢٠١١م.

- التنبيهات على أغاليط الشعراء – لأبي القاسم علي بن حمزة البصري (ت٣٧٥هـ)، تحقيق خليل ابراهيم العطية، دار الشؤون الثقافية العامة، (د.ت).

- جمهرة أشعار العرب – لأبي زيد القرشي، شرحه وقدم له علي فاعور، ط١، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م، بيروت.

- جمهرة اللغة – أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي البصري (ت٣٢١هـ) ،ط ١، ١٣٤٥هـ، حيدر آباد الدكن.

- حلية المحاضرة في صناعة الشعر – أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي، تحقيق جعفر الكناني، دار الشؤون الثقافية، ١٩٧٩م، بغداد.

- الحماسة البصرية – صدر الدين بن ابي الفرج بن الحسين ؛ طبعة الهند ؛ ١٩٦٤م.

- حماسة شعر المحدثين للخالديين – تحقيق د. خالد أحمد الملا السويدي و عارف أحمد عبدالغني : ط١ ؛ ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م ؛ دمشق.

- الحيوان – الجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة مصطفى بابي الحلبي، ط ١، ١٣٦٢هج- ١٩٤٣م، مصر.

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب - عبدالقادر البغدادي (ت١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط٣، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، القاهرة،

- الخصائص – أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، ط ٢، ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م، القاهرة.

- دائرة المعارف الإسلامية – مجموعة مستشرقين، ترجمة إبراهيم زكي، أحمد الشناوي، عبدالحميد يونس، مكتبة دار الشعب، القاهرة (د.ت).

- دقائق التصريف – للقاسم بن محمد بن سعيد المؤدب، تحقيق د.أحمد ناجي القيسي، د. حاتم صالح الضامن، د. حسين تورال، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، بغداد.

- دلائل الإعجاز في علم المعاني – الإمام عبدالقاهر الجرجاني، وقف على تصحيح طبعه وعلق حواشيه السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

- ديوان أبي نؤاس برواية الصولي – تحقيق د. بهجة عبدالغفور الحديثي، دار الرسالة للطباعة، ١٩٨٠م، بغداد.

- ديوان الأسود بن يعفر – صنعة د. نوري حمودي القيسي، مطبعة الجمهورية، ١٩٧٠م، بغداد.

- ديوان تأبط شرا – إعداد وتقديم طلال حرب، دار صادر ؛ ط١، ١٩٩٦م ؛ بيروت.

- ديوان جرير – شرح وتفسير أبي جعفر محمد بن حبيب، نشره محمد إسماعيل الصاوي، دار مكتبة الحياة، ١٣٥٣هـ، بيروت.

- ديوان الحماسة – أبو تمام الطائي، تحقيق أحمد محمد عبدالمنعم، دار الرشيد، ١٩٨٠م.

- ديوان الحماسة - أبو تمّام، شرح المرزوقي، تحقيق احمد امين وعبدالسلام هارون، القاهرة.

- ديوان دعبل بن علي الخزاعي – جمعه وقدم له وحققه عبدالصاحب عمران الدجيلي، منشورات الشريف الرضي، ط٢، ١٩٧٢م، بيروت – لبنان.

- ديوان شعر حاتم بن عبدالله الطائي وأخباره – صنعة صالح بن مدرك الطائي، رواية هشام بن محمد الكلبي (ت٢٠٤هـ)، دراسة وتحقيق سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة (د.ت).

- ديوان شعر عدي بن الرقاع العاملي – صنعة أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب الشيباني، تحقيق د. نوري حمودي القيسي و د. حاتم صالح الضامن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، بغداد.

- ديوان الشنفرى الأزدي – برواية أبي فيد مؤرج بن عمرو السدوسي، تحقيق د.علي ناصر غالب، نشرته مجلة العرب السعودية، ط ١، ١٩٩٨م، الرياض.

- ديوان لبيد بن ربيعة العامري – دار صادر، ١٩٦٦م – ١٣٨٦هـ، بيروت.

- ديوان النابغة الذبياني – تحقيق محمد أبو الفضل أبراهيم، دار المعارف، ط ٤، ٢٠١٧م، القاهرة.

- ذيل الأمالي والنوادر – لأبي علي القالي ؛ لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الجيل، دار الآفاق الجديدة، ط ٢، ١٩٨٧م، بيروت.

- الرسالة الحاتمية - أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي (ضمن مجموعة التحفة البهية والطرفة الشهية) مطبعة الجوائب، ١٣٠٢هـ.

- رشف الضرب من شرح لامية العرب - أبو البركات عبدالله بن الحسين بن مرعي المعروف بالسويدي (ت١١٧٤هـ)، دراسة وتحقيق عصام عكلة عبدالقهار الكبيسي، وهي رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية التربية - جامعة الأنبار، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

- سر صناعة الإعراب – أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ١٩٥٤م، مصر.

- سكب الأدب على لامية العرب – سليمان بيك بن عبدالله بيك الشاوي (ت١٢٠٩هـ)، دراسة وتحقيق مهند مجيد برع العبيدي، وهي رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية التربية – جامعة تكريت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

- سمط اللآلئ – لأبي عبيد البكري، تحقيق عبدالعزيز الميمني، مصر، ١٩٣٦م.

- السيرة النبوية – أبو محمد عبدالملك بن هشام، تحقيق السقا والابياري وشلبي، نشرها البابي الحلبي، ١٩٥٥م، القاهرة.

- شرح اختيارات المفضل – للخطيب التبريزي، تحقيق د. فخرالدين قباوة، ط ٢، ١٩٨٧م،دار الكتب العلمية، بيروت.

- شرح ديوان الحماسة للتبريزي – دار القلم، بيروت، لبنان.

- شرح ديوان الحماسة للمرزوقي – تحقيق أحمد أمين وعبدالسلام هارون، ١٩٦٧م، القاهرة.

- شعر تأبط شرا – دراسة وتحقيق سلمان داود القره غولي وجبار ثعبان جاسم، مطبعة الآداب، ط ١، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، النجف الأشرف.

- شعر زهير بن أبي سلمى- صنعة الأعلم الشنتمري (ت٤٧٦هـ)، تحقيق د. فخرالدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط٣، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، بيروت.

- الشعر والشعراء – ابن قتيبه، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف، ١٩٨٢م، القاهرة.

- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي – د. يوسف خليف، دار المعارف، ١٩٨٦م، القاهرة.

- شعراء عباسيون منسيون. ابراهيم النجار، ١٩٨٧م، الجمهورية التونسية.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية – اسماعيل بن حمّاد الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، ط٢، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، بيروت.
- طبقات الشعراء – أبو العباس عبدالله ابن المعتز، تحقيق عبدالستار فراج، دار المعارف، ١٩٥٦م، القاهرة.
- طبقات فحول الشعراء – محمد بن سلام الجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، ١٩٧٤م، القاهرة.
- طبقات النحويين واللغويين – أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ١٩٨٤م، القاهرة.
- الطرائف الأدبية (مجموعة من الشعر) – تحقيق الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٧م، القاهرة.
- عصر القرآن – د. محمد مهدي البصير، مطبعة العاني، ط٢، بغداد، (د.ت).
- العقد الفريد – أحمد بن محمد بن عبد ربّه الأندلسي، تحقيق د.عبدالمجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، بيروت.
- العقد الفريد – لابن عبد ربّه الأندلسي، حققه وشرحه وعرف أعلامه الدكتور محمد التونجي، ط٢، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، دار صادر، بيروت.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده – لأبن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، ط٤، ١٩٧٢م، بيروت.

الفصوص . أبو العلاء صاعد بن الحسن الربعي البغدادي، تحقيق د. عبدالوهاب التازي سعود، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، المملكة المغربية.

- الفهرست – ابن النديم، مكتبة خياط، بيروت، لبنان، ١٩٦٤م.
- في الأدب الجاهلي – د.طه حسين، ط ١٠، دار المعارف بمصر، ١٩٦٩م، القاهرة.
- لامية العرب بين الشنفرى وخلف الأحمر – دراسة بين الأصيل والمنحول من الشعر الجاهلي، د. باسم ادريس قاسم، منشور في مجلة التربية والعلم (مجلة كلية التربية – جامعة الموصل) المجلد ١٨ العدد الأول لسنة ٢٠١١م.
- لسان العرب – ابن منظور، أعاد بناءه على الحرف من الكلمة يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت.
- مجمع الأمثال – للميداني،تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م.
- مجلة آفاق الثقافة والتراث –دولة الإمارات العربية المتحدة، العدد ٤٩ لسنة ٢٠٠٥م، دبي.
- مجلة العرب - المملكة العربية السعودية، الرياض، السنة ٤٨ لسنة ١٤٣٣هـ، الأعداد : من ١ إلى السادس.
- مختار الأغاني – ابن منظور أبو الفضل محمد بن مكرم، ١٩٦٦م، القاهرة.

- مختارات شعراء العرب – لأبي السعادات هبة الله بن علي العلوي المعروف بابن الشجري، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٥م، القاهرة.

- مخطوطة كتاب الأنساب - لأبي المنذر سلمة بن مسلم العَوْتبي الصحاري ؛ وهي مخطوطة دار الكتب المصرية تحت الرقم ١٦٤٢ تاريخ ؛ نقلاً عن ديوان الشنفرى تحقيق د. علي ناصر غالب.

- مخطوطة المجموعة النفيسة – الشيخ العلامة عبدالكريم الدبان رحمه الله، مصورة كلية التربية، جامعة تكريت، العراق ، رقم المخطوطة : ٥٨٠٤

- المذاكرة في ألقاب الشعراء – أبو المجد أسعد بن إبراهيم الشيباني الأربلي، المعروف بمجد الدين النشابي الكاتب، تحقيق شاكر العاشور، دار الشؤون الثقافية، ط ١، ١٩٨٨م بغداد.

- مراتب النحويين – أبو الطيب اللغوي عبد الواحد بن علي، تحقيق أبو الفضل محمد إبراهيم، ١٩٨٤دار المعارف، مصر.

- مراتب النحويين – أبو الطيب اللغوي عبدالواحد بن علي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، صيدا، بيروت.

- المزهر في علوم اللغة وانواعها – للسيوطي (ت ٩١١هـ) شرحه وضبطه علي محمد البجاوي، وحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٨م، القاهرة.

- المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشك والتوثيق – الدكتور يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، ط ١، بيروت، ١٩٩٧م.

- مصادر الشعر الجاهلي – د. ناصر الدين الأسد، دار المعارف، ط ٣، ١٩٦٦م، القاهرة.
- المعارف – ابن قتيبه، تحقيق ثروة عكاشة، ١٩٦٠ م، القاهرة.
- معجم الأدباء – ياقوت الحموي، نسخه وصححه د.سي مرجليوث، ط ١، ١٩٢٧م، القاهرة.
- معجم ألقاب الشعراء - د. سامي مكي العاني ؛ ١٩٧١م ؛ النجف.
- المعمرون والوصايا – أبو حاتم السجستاني، تحقيق عبدالمنعم عامر، ١٩٦١م، مصر.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب . الإمام جمال الدين عبدالله بن يوسف ابن أحمد ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، قدمه ووضع حواشيه وفهارسه حسن حمد، وأشرف عليه وراجعه د(أميل بديع يعقوب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، بيروت، لبنان.
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم – أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كُبري زادة، دار الكتب العلمية، ط١٩٨١،١م، بيروت.
- المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية . الإمام العيني (ت ٨٥٥هـ)، وهو كتاب على هامش خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر البغدادي، ط١، ١٢٩٩هـ، بولاق.
- مقاييس اللغة – أبو حسين أحمد بن فارس، تحقيق عبدالسلام هارون، ط ١، ١٣٦٦هـ، القاهرة.
- مقدمة في النحو – خلف بن حيان الأحمر البصري (ت ١٨٠هـ)، تحقيق عز الدين التنوخي عضو المجمع العلمي العربي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م، دمشق.

- المنصف – ابن جني، تحقيق إبراهيم مصطفى، وعبدالله أمين، ١٩٥٤م، مصر.
- الموازنة – الآمدي، تحقيق أحمد صقر، دار المعارف بمصر، ١٩٦١- ١٩٦٥م.
- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء – أبو عبيدالله محمد بن عمران المرزباني، تحقيق علي محمد البجاوي، ١٩٦٥م، القاهرة – مصر.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء – أبو البركات عبدالرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق إبراهيم السامرائي، ١٩٨٥م، الزرقاء، الأردن.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء – أبو البركات كمال الدين عبدالرحمن ابن محمد الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، صيدا، بيروت.
- النقد عند اللغويين – سنية أحمد محمد، دار الرسالة للطباعة، ١٩٧٧م بغداد.
- النوادر- لأبي علي القالي (ت٣٥٦هـ) ؛ ط٢، بيروت، ١٩٨٧م.
- النوادر في اللغة – لأبي زيد الأنصاري (٢١٥هـ)، الناشر دار الكتاب العربي، ط٢، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م، بيروت، لبنان.
- نور القبس المختصر في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء - أبو عبيدالله محمد بن عمران المرزباني، اختصره أبو المحاسن يوسف ابن أحمد بن محمود الحافظ اليغموري، تحقيق رودلف زلهايم، ١٩٦٤م، فاسبادن، ألمانيا.
- الوافي بالوفيات - خليل بن ايبك الصفدي، الجزآن الثالث عشر والسابع عشر، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م.

الفهرســـت

- الآيـــة ٣
- الإهـــداء ٤
- مقدمة الكتاب : ٥
- الفصل الأول : ٩
- المبحث الأول : شخصية خلف الأحمر ١١
- المبحث الثاني : أسرته وعقيدته ١٧
- عصـره ٢٣
- شيوخ خلف الأحمر ٢٤
- تلامذته ٢٥
- مجلس خلف الأحمر ٢٧
- المبحث الثالث : خلف الأحمر والمسألة الزنبورية ٢٩
- المسألة الزنبورية ٣٠
- المبحث الرابع : مؤلفاته وبعض آراؤه النقدية ٣٥
- الفصل الثاني : خلف الأحمر بين يدي القضاء الأدبي ٤٥
- المقدمة ٤٧
- المبحث الأول : خصومه ٤٩
- الفئة المتشددة : ٤٩
- أبو حاتم السجستاني ٤٩
- أبو الطيب اللغوي ٥١
- أبو علي القالي ٥٤

- ابن النديم ٥٧
- د. طه حسين ٥٨
- الفئة الأقل تشددًا ٦٠
- المبحث الثاني : أنصاره ومؤيدوه ٦٥
- الأصمعي ٦٥
- ابن هشام ٦٨
- محمد بن سلام ٧٠
العلماء الذين يوثقون مروياته ٧٣
١- أبو نؤاس ٧٣
٢- مروان بن لأبي حفصة ٦٣
٣- أبو عبيدة ٧٤
٤- الرياشي ٧٤
٥- أبو زيد الأنصاري ٧٤
٦- سلمة بن عاصم ٧٤
٧- كيسان ٧٤
٨- أبو العاصي ٧٤
٩- أبو منصور الثعالبي ٧٥
١٠- ابن رشيق القيرواني ٧٥
١١- صلاح الدين الصفدي ٧٥
١٢- ادريس بن عبدالكريم ٧٦
١٣- السيوطي ٧٦
المبحث الثالث: الرواة المعتدلون ٧٧

- الفصل الثالث : لامية العرب بين النفي والإثبات ٨١
- التعريف بشخصية الشنفرى ٨٥
- الآراء الرافضة للامية ٨٦
- أولًا : بعد تدوين شعر الصعاليك ٨٧
- ثانيًا : رواية المرزباني ٩٠
- ثالثًا : طافة من العلماء القدماء يعزون اللامية للشنفرى ٩٢
- رابعًا : المستشرقون المؤيدون والمعارضون لنسبة اللامية : ٩٣
- خامسًا : أساتذة الأدب المعاصرون الرافضين لنسبة اللامية : ٩٥
- سادسًا : الباحثون المحدثون ٩٦
- سابعاً : ما توصلت إليه الدراسات من استنتاجات ٩٧
- الفصل الرابع : لامية الشنفرى في رثاء تأبط شرا في الميزان النقدي ١٠١
- المصادر التي روت اللامية أو أجزاء منها وعزتها للشنفرى ١٠٥
- المصادر التي روت اللامية أو أجزاء منها وعزتها لخلف الأحمر ١٠٧
- المصادر التي روت اللامية أو أجزاء منها وعزتها لتأبط شرا ١٠٩
- المصادر التي روت اللامية لغير ما جاء سابقًا ١١١
- رأي أبي تمام في اللامية ١١٢
- رأي المحدثين ١١٤
- أسباب اختلاف الرواة في نسبة اللامية ١١٥
- لامية خلف الأحمر المغيبة ١١٧
- المصادر والمراجع ١٢١
- الفهرست ١٣٣